اللاهوت الروحي المسيحي

مَراحِلُهُ، وَاتّجاهاتُه، وَآثارُهُ الفِكرِيّةُ المعَاصِرَة

دِراسَةٌ وَصفِيّةٌ نَقدِيّةٌ

تأليف

إبراهيم طارق محمد الطواري

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي هذا البحث إلى والدي العزيزين، وإلى الأهل والأرحام، وإلى كل منصف كرس نفسه لبيان رسالة الحق الإلهي والدعوة إليها بعلم ويقين.

الملخص

يهتم هذا البحث بدراسة جانب من أصول الإيمان المسيحي من خلال مجموعة من التعاليم والمبادئ المتعلقة بالروح البشرية والتي يصطلح عليها في المصادر بـ"اللاهوت الروحي"، يراد من خلالها صياغة القيم والغايات الروحية السامية في سلوك الفرد، ونحن من خلال هذه الدراسة نسلط الضوء على هذا الجانب من المعارف المسيحية؛ حيث يشير الباحث في التمهيد إلى كمال التشريع الإلهي ووحدة القيم السماوية وصولًا إلى مركز رؤية السمو الروحي في المسيحية من خلال بعض عقائدها، ثم يشرع في الفصل الأول الذي ضم ثلاثة مباحث بتحليل ما ينطوي عليه مصطلح "اللاهوت" من دلالات وأقسام تنوعت بين كنائس الشرق والغرب، مع الإشارة لمصطلح "الروحانية" الذي تنازعته المسالك في محاولة صياغة تعريف به مع استعراض ثلاث مراحل تاريخية ساهمت في نشأة وتطور ضوابط الخطاب الروحي، ليكون المبحث الثالث مجالًا لدراسة بنيتها الاجتماعية والثقافية مع نماذج من تحليل أبرز التعاليم الروحية في الديانة، ثم الانتقال بالدراسة في فصلها الثاني عبر مبحثين إلى استعراض عدة اتجاهات فكرية ساهمت في توجيه النص الروحي والتي بات لها آثار ومآلات فكرية معاصرة.

الشكر والتقدير

الحمد لله أولًا وآخرًا على جزيل فضله، وكريم عطائه، ومنِّه وجوده، وواسع رحمته، العظيم الجليل، العليم الخبير، خير الرازقين، الذي بحمده ما زلنا وما نزال نتقلب بنعمه، وما شكرناه حق شكره.

سبحانك ربنا لا نحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

ثم أتقدم بالشكر لوالدي الكريمين ممتثلًا أمر الله تعالى، إذ قال جل جلاله: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤].

وأتوجه بالشكر لزوجتي الكريمة على ما قدمت لي من يد العون وجميل الصبر.

كما أصل بالشكر مشرفي د. عواد برد العنزي مدير برنامج ماجستير العقيدة والمذاهب الفكرية المعاصرة، على حسن ظنه وتعليمه وسعة صدره في صبره وفتح أبواب الفائدة أمام طلابه.

ولا أنسى تقديم الشكر لأعضاء هيئة التدريس الفضلاء في قسم العقيدة والدعوة في كلية الشريعة عامة على ما بذلوه من معروف وتقديم يد العون والنصيحة، وأخص بالشكر والعرفان القائمين منهم على برنامج ماجستير العقيدة والمذاهب الفكرية المعاصرة.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، **ثم أما بعد**:

فإن الناظر في تاريخ علم مقارنة الأديان ليجد من علماء الإسلام ما تسر به القلوب وتنشرح له الخواطر وتضيق دونه ساعات المطالعة في المصنفات التي أثرت هذا المجال بحثًا ودراسة في جميع فروعه، خاصةً مع البدايات المبكرة في هذا الحقل عبر روافد الدراسات العقدية على يد الأوائل من علماء المسلمين مطلع القرن الخامس الهجري كأبي محمد علي بن سعيد بن حزم المتوفى عام ٤٥٦هـ وأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني المتوفى عام ٤٤٠هـ، ومع هذا الجهد الظاهر في نصرة دين الإسلام وبيان محاسنه والطعن على أهل الأهواء في أصولهم وعقائدهم وإثراء الساحة العلمية بمختلف المقارنات والمناهج، نجد أن الحاجة ما تزال ملحة لبيان الحقيقة ونصرة دين الحق ورد الشبهات المستجدة الهادفة لردم الهوة العقدية بين الإسلام وخصومه وتقريب المبادئ بصورة زائفة تحمل شعارات مبهمة المبادئ والغايات، حتى صار من الملاحظ

أن دعاوى التقريب المعاصرة تحمل بعدًا عقديًّا يختلف عن ذلك البعد الذي كان دارجًا في أزمنة سابقة، والذي يتناول قضايا أصول الإيمان وصدق النبوة وشبهات تاريخية حول صحة التراث الإسلامي، ولا أقرب مثالًا على هذه الشبهات المستجدة من دعوى وحدة القيم الإبراهيمية والتي من خلالها تسربت كثير من القيم والمبادئ الروحية الوثنية إلى المجتمع الإسلامي من خلال تقديمها بصيغة النص السماوي عن طريق أهل الكتاب، في الوقت الذي وقفت دونه كثير من التيارات الفكرية السابقة عاجزة دون سد العقيدة في نفوس أبنائها، لذلك كان لزامًا علينا استكمال مسيرة الذب والتصدي لهذه الانحرافات من خلال إعادة صياغة الردود العلمية بما يتماشى مع هذه الدعاوى ذات السمة الروحية، ومن هنا جاءت فكرة البحث الذي يهتم بدراسة اللاهوت الروحي المسيحي، وبيان ما داخله من الانحراف في التعاليم والمبادئ، وتسليط الضوء على البعد الروحي في نقد الديانة المسيحية التي دائما ما يصرح دعاتها أنها رسالة قيم وسمو روحي دون بيان ما تنطوي عليه هذه القيم من طقوس وثنية غالية، ومبادئ تكتنفها الأسطورة، وغايات خفية تحمل السمات الباطنية، خصوصا مع تأثر الديانة المسيحية بعدة اتجاهات دينية عبر التاريخ، ساهمت في توجيه النص الروحي، والذي بات له أثر ظاهر على الفكر المعاصر في وقتنا الحاضر.

جميع ما سبق شكل الانطلاقة لبحث علمي تنكشف فيه جذور هذه الانحرافات الروحية من خلال الدراسة والتحليل ليتضح حجم الخلل في هذه التعاليم والمبادئ الروحية المسيحية.

أهمية البحث:

تكمن أهمية موضوع البحث من خلال ما يلي:

١-أهمية بيان اختلاف المبادئ والقيم الروحية بين الإسلام والمسيحية المحرفة ردًّا لدعوى تقارب الأديان.

٢-خطورة كثير من الطقوس الروحية الوضعية على العقل والجسد والفطرة السليمة.

٣-ضرورة التأكيد على مبدأ الاعتدال الإسلامي ونبذ الغلو من خلال نقد القيم الروحية الغالية.

٤-أهمية تنوع النقد من خلال عدة مجالات جديدة يظهر فيها تحريف الديانة المسيحية.

أسباب اختيار البحث:

وأما الأسباب الدافعة لاختيار موضوع البحث فهي كما يلي:

١-تسرب كثير من التعاليم الروحية الوثنية إلى المجتمع الإسلامي تحت دعوى وحدة القيم الإبراهيمية.

٢-قلة الدراسات التي تناولت القيم الروحية في نقد الديانة المسيحية.

٣-صلة موضوع التعاليم الروحية بالكمال التشريعي في كل ديانة مما له أثر في المفاضلة بين الأديان.

٤-الحاجة لدراسة اللاهوت الروحي لفهم جانب مهم من أصول الإيمان المسيحي.

أهداف البحث:

يمكن إجمال أهداف البحث من خلال ما يلي:

١-تسليط الضوء على البعد الروحي في نقد الديانة المسيحية.

٢-دراسة جملة من التعاليم الروحية المركزية، وبيان وجه الانحراف فيها.

٣-عرض أبرز مراحل تطور الخطاب الروحي وبيان بعض سماته الجامعة.

٤- تقرير أوجه كمال التشريع الإسلامي الموازن بين الروح والجسد.

٥- بيان جملة من الاتجاهات الروحية المسيحية النشطة وأثرها على الفكر المعاصر.

حدود البحث:

يختص هذا البحث من جهة الحد الموضوعي بدراسة الديانة المسيحية من خلال طوائفها الثلاثة الكبرى: الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت، وذلك عبر دراسة اللاهوت الروحي المسيحي وما يتصل به من مصطلحات ومراحل تاريخية، ودراسة لبنية التعاليم فيه دون باقي الشعائر العبادية غير ذات الصلة بالمفهوم الروحي، كما شملت الدراسة استعراض جملة من الاتجاهات الروحية وآثارها الفكرية ومآلاتها المعاصرة من خلال مادة النصوص الواردة في العهد الجديد من الكتاب المقدس.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في دراسة اللاهوت الروحي المسيحي من خلال استقراء نصوص العهد الجديد، والمصادر العلمية في محاولة للكشف عن إجابة للأسئلة الآتية:

١-ما هو مصدر الحاجة الملحة لسمو بالروح؟ وكيف استمدت المسيحية المعيار
الذي تدين به لمفهوم الكمال الروحي؟

٢-ما هي سمات الخطاب الروحي المسيحي المبكر؟

٣-ما هي الاتجاهات الروحية المسيحية النشطة؟ وكيف استمدت مقالاتها الفكرية؟

٤-ما مدى أثر المنظومة الروحية المسيحية على الأفكار المعاصرة؟

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي النقدي عبر استعراض مراحل تطور الخطاب الروحي وتحليل سماته وبنية التعاليم فيه ونقده، وبيان أثر الاتجاهات الروحية على الأفكار المسيحية المعاصرة ومآلات الخطاب الحداثي.

آلية البحث:

١-سيعتمد البحث في دراسة نصوص العهد الجديد من نسخة NIV للكتاب المقدس(١)؛ لأنها النسخة الدولية الجديدة الأكثر شيوعًا في العالم والمعتمدة لدى المجامع الكنسية.

(١) انظر: اختصار لكلمة New International Version ترجمة للكتاب المقدس إلى اللغة الإنجليزية المعاصرة نشرها مجلس الكنائس في عام ١٩٧٨م وتم توزيع ما يقارب ٤٥٠ مليون نسخه منها في الولايات المتحدة وحول العالم.

٢-الاعتماد في بيان الانحرافات العقدية على مرجعية القرآن الكريم والسنة الصحيحة وفقًا لمعتقد أهل السنة والجماعة.

٣-شمول الدراسة على ما اتفقت عليه الطوائف المسيحية من المفاهيم والتعاليم الروحية أو تفردت به طائفة دون غيرها مع العزو لمصادرها الأصلية، على أن المعتمد في دراسة الطوائف المسيحية هي الطوائف الثلاث الكبرى (الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت).

٤-اعتماد التأثير التاريخي والانتشار الجغرافي في واقع الديانة المسيحية معيارًا لذكر أبرز الاتجاهات الدينية المؤثرة في اللاهوت الروحي المسيحي.

الدراسات السابقة:

١- «صفة المحبة الإلهية في النصرانية»

الباحث: رفعة دحيم الدوسري

وصف الدراسة:

هي رسالة علمية لنيل درجة الماجستير في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة أم القرى، ناقشت فيها الباحثة صفة المحبة الإلهية وما يتصل بها من مفهوم ولوازم وآثار سلوكية على الإيمان المسيحي من خلال ثلاثة أبواب وثمانية فصول للبحث.

٢- «اللاهوت المسيحي نشأته وطبيعته»

الباحث: د. أنمار أحمد محمد

وصف الدراسة:

هي دراسة علمية تناول فيها الباحث من خلال فصلها الأول النشأة المبكرة للفكر المسيحي من خلال استعراض المحطات الأولى لحياة المسيح عليه السلام ابتداءً بمعجزة ولادته وانتهاءً برواية المحاكمة والصلب وما لحقها من عقائد أثرت في واقع الديانة كعقيدة الفداء والخلاص وقيامة المسيح كما تناولت الدراسة المعالم الأولى لنشأة اللاهوت المسيحي بصورته النظامية على يد اتباع المسيح وتلامذته ومجمع أورشليم الأول واختص الفصل الثالث بدراسة العوامل المؤثرة في تطور هذا الفكر من خلال استعراض دور آباء الكنيسة والمجامع الكنسية اللاحقة في القرن الرابع الميلادي.

٣- «**الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه**»

الباحث: د. أحمد علي عجيبة

وصف الدراسة:

هي دراسة علمية تناول فيها الباحث من خلال أربعة فصول موضوع الخلاص وما له من أهمية بالغة في مفهوم الإيمان المسيحي؛ حيث تناول في الفصل الأول معنى الخلاص ونشأة القول به، وتناول في الفصل الثاني بداية الخلق والخطيئة الأولى من خلال دراسة نصوص سفر التكوين، وتناول في الفصل الثالث أثر وانعكاسات الخطيئة على بني آدم في النصوص المسيحية كما اختص الفصل الرابع بذكر أهم الآثار والشعائر المتعلقة بالخلاص المسيحي وموقف الإسلام منها.

٤- (الروح في الديانات الكتابية والوضعية)

الباحث: د. علي سعيد العبيدي

وصف الدراسة:

هي دراسة علمية تناولت موضوع الروح في الديانات السماوية والوضعية من خلال استقراء أبرز العقائد والمفاهيم الدينية المتعلقة بالروح البشرية وذالك على صيغة السؤال والجواب كما أنها تناولت جانب العقائد الروحية المتعلقة بالحياة البرزخية والحياة الآخرة.

٥- (أثر النص المقدس على منظومة القيم)

الباحث: سعدون المشهداني

وصف الدراسة:

هي دراسة علمية تناولت أثر النص المقدس في تكوين الفرد وتحديد سمات الأمم وتشكيل سلوك جامع للظواهر الاجتماعية، وبالتالي تحديد موقف من تلك الظواهر، وهذا من خلال استقراء نصوص العهد القديم، والاستشهاد بعدة ظواهر من التراث اليهودي كالكذب والسحر والغلو وما لها من انعكاس على الواقع المعاصر لليهود الصهاينة.

ومن خلال ما تقدم يظهر على جميع الدراسات السابقة الاختلاف في ما يلي:

- الاختلاف في مجال البحث من خلال نقد العقائد دون التعاليم الروحية والاتجاهات الدينية.

▪ الاختلاف في حدود البحث عبر دراسة زمن مخصوص أو طائفة مسيحية مخصوصة.

وهذا البحث يدرس:

١-اللاهوت الروحي المسيحي عمومًا في عقائد الطوائف المسيحية.

٢-سمات الخطاب الروحي ونماذج من أبرز التعاليم الروحية.

٣-دراسة الاتجاهات الروحية وآثارها الفكرية المعاصرة.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وفهارس، والفصل الأول يتكون من ثلاثة مباحث، وأما الفصل الثاني فيتكون من مبحثين، وهي كالآتي:

المقدمة: وتشمل أهمية البحث، وأسباب اختيار البحث، ومشكلة البحث، وأهداف البحث،

ومنهج البحث، وآلية البحث، والدراسات السابقة.

التمهيد:

ويحتوي على مطلبين:

المطلب الأول: كمال التشريع الإلهي ووحدة القيم السماوية.

المطلب الثاني: مركز رؤية السمو الروحي في المسيحية.

الفصل الأول: اللاهوت الروحي ومراحله التاريخية وبنية التعاليم فيه:

ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: اللاهوت الروحي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مصطلح اللاهوت ودلالاته بين التراث اليوناني والمسيحي.

المطلب الثاني: علم اللاهوت وأقسامه في المعارف المسيحية.

المطلب الثالث: الروحانية.

المبحث الثاني: مراحله التاريخية:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: روحانية الكنائس الأولى.

المطلب الثاني: روحانية الكنائس الشرقية

المطلب الثالث: روحانية الكنائس الغربية.

المبحث الثالث: بنية التعاليم الروحية:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: البنية الاجتماعية والثقافية لتعاليم الروحية.

المطلب الثاني: دراسة في أبرز التعاليم الروحية.

أولًا: الوصايا العشر.

ثانيًا: الموعظة على الجبل.

الفصل الثاني: الاتجاهات الروحية المسيحية وآثارها الفكرية المعاصرة:

ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: الاتجاهات الروحية المسيحية:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الاتجاه البيلاجي.

المطلب الثاني: الاتجاهات الخلاصية.

أولًا: التعددية.

ثانيًا: الشمولية.

ثالثًا: الخصوصية.

المبحث الثاني: آثارها الفكرية المعاصرة:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حركة التحرر المسيحية.

المطلب الثاني: مآلات فكر التحرر المعاصرة.

الخاتمة: وتشمل أهم النتائج والتوصيات.

الفصل التمهيدي

المطلب الأول: كمال التشريع الإلهي ووحدة القيم السماوية:

إن من أدل نعم الله على حكمته وكمال ربوبيته ما سنه في خلقه من التشريع ثم استودعه من كليات القيم والفضائل التي صارت لأنبيائه دينًا ودعوة ينشرونها في الناس، وهي مع اختلاف زمانها ومكانها ودعاتها متفقة ليس بينها اختلاف أو تفاوت لأنها جذوة مشكاة الوحي السماوي الواحد، وقد جاءت النصوص في هذا المعنى كثيرة متضافرة تأكيدًا لوحدة الأساس وبيانًا لصلة مفردات منظومة القيم السماوية في مضمونها وغاياتها على لسان الأنبياء والمرسلين، وفي متون الكتب السماوية منذ آدم عليه السلام وإلى النبي الخاتم محمد ﷺ، لا سيما في بيان تاج الفضائل وعنوان القيم، وهو الاستسلام لله تعالى بالتوحيد كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] ومن تأمل في هذه الآية الكريمة وجد أنها وردت في سورة الأنبياء إشارة لهذا الأصل الجامع في دعوة الأنبياء عليهم السلام إلى التوحيد ونحوها من آيات القرآن الدالة على الوصايا المشتركة والقيم الراسخة بين الأنبياء والمرسلين عليهم السلام كقوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ

مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى: ١٣]. ولم تتأخر السنة النبوية عن تأييد هذا المعنى القرآني والتأكيد عليه ومن ذلك ما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»(١). قال شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان ما أوجبه هذا الحديث من الإيمان والعمل: "فمن أطاع رسولا واحدا فقد أطاع جميع الرسل، ومن آمن بواحد منهم فقد آمن بالجميع، ومن عصى واحدا منهم فقد عصى الجميع، ومن كذَّب واحدا منهم فقد كذَّب الجميع؛ لأن كل رسول يصدق الآخر، ويقول إنه رسول صادق، ويأمر بطاعته؛ فمن كذَّب رسولا فقد كذَّب الذي صدقه، ومن عصاه فقد عصى من أمر بطاعته، ولهذا كان دين الأنبياء واحدًا"(٢). كما أشارت السنة النبوية إلى إجمال مضمون هذه القيم والفضائل؛ إذ إنها في كل ما فيه خير الناس وصلاحهم عامة.

ومن ذلك ما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: **قال رسول الله** ﷺ: **«إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ»**(٣).

ومن تأمل في كتاب الله جل وعلا وجد بعضًا من أفراد هذه القيم والفضائل في آيات جامعة حوت نصًّا على ذكر بعضها كالأمر بالعدل والإحسان والنهي

---

(١) انظر: صحيح البخاري، حديث (٣٤٤٣)، ت: مصطفى البغا، دار اليمامة (١٩٩٣) دمشق.

(٢) انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (٢٠٠٤)، مجموع الفتاوى، (ط١)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف – المدينة المنورة، (ج١٩،ص١٧٩).

(٣) انظر: صحيح مسلم (١٨٤٤)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ط (١٩٥٥)، مطبعة عيسى البابي، القاهرة.

عما يضادهما من الفحشاء والمنكر والبغي في سورة النحل قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] فنسب سبحانه الأمر إلى ذاته كما جاء الأمر فيها بصيغة الفعل المضارع لبيان أن ما جاء في الآية الكريمة من وصايا وقيم هي أمره وسنته الدائمة في وحيه إلى كافة الأنبياء من خلقه، وإلى هذا المعنى يشير الألوسي رَحِمَهُ اللَّهُ فيقول: "إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ أي فيما نزله عليك تبيانا لكل شيء، وإيثار صيغة الاستقبال فيه وفيما بعده لإفادة التجدد والاستمرار، بِالْعَدْلِ أي بمراعاة التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط وهو رأس الفضائل كلها"(١).

وفي تأكيد ما تختص به هذه القيم من شمولها لمعاني الخير وصلاحها لكل مجالات الحياة على اختلاف الزمان والمكان نجد الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: **"إن أجمع آية في القرآن لخير أو شر آية سورة النحل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾** [النحل: ٩٠](٢).

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ معلقا على شمول قيم هذه الآية: **"فصارت هذه الآية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات لم يبق شيء إلا دخل فيها، فهذه قاعدة ترجع إليها سائر الجزئيات؛ فكل مسألة مشتملة على عدل أو إحسان أو**

---

(١) انظر: الألوسي، شهاب الدين محمود (١٩٩٤)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، (ط١)، دار الكتب العلمية – بيروت (ص٤٥٤).

(٢) انظر: الطبري، محمد بن جرير (م.ج)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: محمود شاكر (ط١)، دار التربية والتراث – مكة المكرمة، (ج١٧،ص٢٨٠).

إيتاء ذي القربى فهي مما أمر الله به، وكل مسألة مشتملة على فحشاء أو منكر أو بغي فهي مما نهى الله عنه"(١).

وغيرها من نصوص الكتاب والسنة التي يضيق لعرضها المطلب الواحد والتي تؤكد على وحدة القيم السماوية، وهي جديرة بمزيد تتبع واهتمام، أما وإننا في مطلع البحث لا بد لنا من الإشارة لهذا المعنى حتى لا يلتبس على البعض ما سيرد من نقد ومناقشة لبعض التعاليم والقيم الروحية في الديانة المسيحية، أو ما قد يُستدرك عليها من النصوص المقدسة، فينصرف الذهن إلى أن هذا النقد موجه إلى مشكاة الوحي السماوي، وما هذا إلا رد لما دخل على هذه الديانة من الزيادة والنقصان بعد عهد النبوة والدين الحق، وهو التلبيس والكتمان الذي أشار إليه الله جل وعلا في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧١].

فالقيم السماوية ثابتة لا تتغير في مضمونها ولا في زمانها لأنها من العدل والإحسان العام الذي أمر الله به، وإنما التغيير واقع فيما قد يطرأ عليها من عوامل عابثة خارجة عنها كما أشارت إليها الآية الكريمة.

المطلب الثاني: مركز رؤية السمو الروحي في المسيحية:

يحسن بنا في بداية هذا المطلب الإشارة إلى القضية التي يتناولها بالدراسة والأهداف المنشودة من خلاله؛ فنقول: ليس المراد من هذا المطلب الحديث عن جانب النسك في رحلة السمو الروحي حيث سيأتي بيان هذا الجانب في

---

(٣) انظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر(٢٠٠٠)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. (ط١) مؤسسة الرسالة - بيروت، (ص٤٤٧).

بعض مباحث الموضوع، إنما المراد هو بيان مركزية السمو بالروح البشرية كهدف عام للديانة المسيحية على اختلاف طوائفها من خلال واقع النصوص الروحية المسيحية، كما نأمل من خلال استقراء هذا الجانب من البحث الجواب على تساؤل مهم يتمثل في معرفة مصدر الحاجة الملحة للسمو بالروح البشرية، وكيف استمدت المسيحية المعيار الذي تدين به لمفهوم الكمال الروحي من عقائدها المقدسة؟

في الحقيقة لا يمكننا عند استقراء أسفار الكتاب المقدس وتحديدا في أولها سفر التكوين إلا أن نرى الاتفاق الواضح في الأساس العام بين المسيحية بطوائفها وباقي الديانات السماوية على وحدة الجنس البشري في نسبته لآدم وحواء عليهما السلام.

جاء في سفر التكوين: **"ثم جبل الرب الإله آدم من تراب الأرض ونفخ في أنفه نسمة الحياة فصار آدم نفسًا حية"** (٢:٧).

"هذا سجل بمواليد آدم يوم خلق الله الإنسان صنعه الله على مثاله وقد خلقه الله ذكرًا وأنثى ويوم خلقه باركه وسماه آدم" (٥:١،٢). وقد أشار الله سبحانه إلى هذه الوحدة في الجنس البشري في كتابه العزيز بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الأعراف: ١١].

وبالرغم من هذه الوحدة في النسل والجسد إلا أنه لا يمكن الجزم بمثل

هذا الاتفاق عند الحديث عن خصائص الروح البشرية المودعة في الجسد، لا سيما مع ما تنفرد به المسيحية عن الإسلام من عقيدة "الصورة والمثال" كما جاء صريحا في قصة بدء الخلق في سفر التكوين: **"ثم قال الله: لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا. فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه ذكرًا وأنثى خلقهم"**(١:٢٦،٢٧) والتي تفاخر بها المسيحية كرؤية عقدية حاضرة بقوة عند وصف الإنسان وتعريفه حسب الرؤى اللاهوتية.

يقول د. جورج بباوي عميد كلية اللاهوت القبطية وأستاذ الفلسفة في كامبريدج: **"لم تعرف الحياة الدينية البشرية وصفًا يُعرِّف الإنسان أقوى وأجمل من وصفه وتعريفه بأنه صورة الله ومثاله"**(١). والحاصل من هذه النصوص أن الله سبحانه بعد أن خلق آدم عليه السلام جعله على صورته ومثاله في البر والإحسان والقداسة التي هي غاية الكمال في الخير وغاية الطاعة في محبة الخير والتزامه؛ حيث لا مجال للشر في ذاته، وهو ما كان عليه جوهر الإنسان في نشأته الأولى على ضوء تعبير سفر يوحنا: **"كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية لأن زرعه يثبت فيه ولا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من الله"**(١:٩). ثم إنه وفق هذا المعنى الروحي المحدود يكمن المعيار لمفهوم الكمال الروحي والذي عليه الحد الأدنى من إجماع الطوائف المسيحية كرؤية لاهوتية لتأويل المقاربة الإلهية مع البشر في عقيدة "الصورة والمثال" إلا أن الخلاف وقع بينها فيما إذا تعدت هذه الصورة الكاملة الروح البشرية لتشمل معها كمال الجسد؛ فذهبت

---

(١) انظر: بباوي، جورج (٢٠٢١)، الإنسان صورة الله ومثاله، (ط١)، جذور للنشر – القاهرة (ص١٢٥).

الكنائس الإنجيلية أن الصورة والمثال الإلهي إنما هو على هيئة الروح حصرًا وأما الجسد فلا يمكن أن يوصف الخالق به، أو أن يرتقي في الكمال إلا كوسيلة في خدمة الروح ثم هو إلى الفناء الزائل(١). وذهب الكاثوليك والأرثوذكس إلى أن الكمال في الصورة والمثال الإلهي إنما هو على هيئة الروح والجسد معًا فيما هو دون التجسيم أي وصف الله بالجسم حيث لا فضل للروح على الجسد في زمن نشأة الإنسان فلا يمكن أن يُعرّف الإنسان إلا "كنفس جسدي"؛ يقول د. جورج بباوي في بيان هذا المعنى: "الإنسان في الكتاب المقدس مختلف تمامًا عن الفلسفة اليونانية سواء الأفلاطونية أو الأفلاطونية المحدثة فهو لم يُخلق روحا أولًا ثم حبس في الجسد بعد ذلك فقصة الخلق لا تبدأ بخلق الروح، بل بخلق الإنسان الذي يظهر مخلوقًا روحيًّا جسديًّا أو حسب التعبير الشائع في كتب اللاهوت المعاصرة بل وكتابات آباء الكنيسة هو Psycho-Physiological organism **أي نفسجسدي**"(٢). وعليه فإن الجسد الإنساني لم يتخلف عن الروح في قداستها وكمالها على الصورة والمثال الإلهي؛ حيث إن الجسد وفق هذه الرؤية كان في نشأته الأولى على هيئة البلوغ والكمال، بمعنى أنه لم يسبق بضعف ولا عجز الطفولة، بل كان في تمام القدرة والقوة والاستعداد البدني والنفسي لفهم الخطاب وعقل المرادات الإلهية، ويُستدل لهذا المعنى بظاهر النصوص في سفر التكوين: "**فعند أول وجود الإنسان على**

---

(١) انظر: إلياس مقار (١٩٧٠)، قضايا المسيحية الكبرى، (ط٢)، دارالثقافة المسيحية – القاهرة (ص٣٥٩).

(٢) انظر: بباوي، جورج (٢٠٢١)، الإنسان صورة الله ومثاله، (ص١٩).

الأرض باركهم الله وقال لهم: أثمروا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا"(١:٢٨). إلا أن هذا البر والخير والقداسة لم تستمر في آدم عليه السلام ولا في ذريته بحسب عقيدة الخطيئة التي حرمت آدم عليه السلام الخير والكمال الروحي والجسدي وانحدرت به إلى الموت والحياة الفانية بعد الخلود وسجنته في رغبات الجسد حسب التعبير اللاهوتي، وحالت بكل الوسائل دون سموه الروحي حتى صيرته إلى عجز تام عن الوصول إلى البر والمجد الذي كان عليه على ضوء الصورة والمثال الإلهي الأول.

ومما يحسن بنا الإشارة إليه حول مفهوم عقيده الخطيئة هو أنها وفق النصوص المقدسة لها سمة القهر والحكم الغالب على الروح والجسد؛ حيث تودي بالإنسان إلى الشر ولو من غير سبق نية، وهو تمام العجز كما أنها مع سلطانها الظاهر على الإنسان لا يمكن أن تُعرف بالضرورة العقلية أو بالحس السليم؛ حيث إن مصدر العلم بها هو الوحي الإلهي المقدس، يقول بولس(١) وهو يصف أثر سلطان الخطيئة عليه: **"فإننا نعلم أن الشريعة روحية، وأما أنا فجسدي بيع عبدًا للخطيئة؛ فإن ما أفعله لا أملك السيطرة عليه إذ لا أفعل ما أريده، وإنما ما أبغضه، فإياه أفعل، فالآن إذًا ليس بعد أنا من يفعل ذلك بل الخطيئة التي تسكن في، ولكنني أرى في أعضائي ناموسًا آخر يحارب الشريعة التي يريدها عقلي، ويجعلني أسيرًا لناموس الخطيئة الكائن في أعضاء، فيالي من**

(١) بولس: أو شاؤول الطرطوسي، يهودي ثم أصبح أحد قادة الكنسية في القرن الأول ت٦٤م، وله ترجمة في سفر أعمال الرسل (٩:١)، كما تنسب له أربعة عشر رسالة هي اليوم ضمن العهد الجديد.

إنسان تعيس من يحررني من جسد الموت هذا".

رومية (٧:١٤،١٥،١٧،٢٣،٢٤).

كما يشير في نص آخر إلى جهله بالخطيئة لولا النصوص المقدسة التي أتت بالتحذير منها فيقول: **"إذًا ماذا نقول هل الشريعة خطيئة؟ حاشا ولكنني ما عرفت الخطيئة إلا بالشريعة، فما كنت لأعرف الشهوة لولا قول الشريعة: لا تشتهي. فلولا الشريعة لكانت الخطيئة ميتة، أما أنا فكنت من قبل عائشًا بمعزل عن الشريعة، ولكن لما جاءت الشريعة عاشت الخطيئة". رومية (٧:٧،٨،٩)**

كما يؤكد لنا القس د. فايز فارس طبيعة الخطيئة الكامنة في النفس حيث إنها حالة متأصلة لا يمكن دفعها أو التغلب عليها لا بالعقل الصحيح ولا بقوة الإرادة فيقول: "إن الخطية جذرية لأنها تمنع النفس من أن تعمل ما تراه فعلًا بأنه الأفضل؛ لأنها تفسد وظائف الذات وتمسخ القلب فلا يحب الخير الأسمى، أو على الأقل يحبه حبًّا منقسمًا غير كامل، وينشغل بقيم أخرى زائفة أو سريعة الزوال، كذلك تسيطر الخطيئة على الخيال والتصور فلا تتصور النفس الحقيقة المطلقة والخير الأسمى، وتمتلئ النفس بتصورات حسية أو لذات وقتية، والعقل نفسه لا ينشغل بسبب الخطيئة بالأمور الروحية، بل ينشغل بالأمور الوقتية المحدودة بالزمان والمكان"(١).

ويقول: "هذه الطبيعة الجذرية للخطيئة هي التي أوحت إلى اللاهوتيين

---

(١) انظر: فايز، فارس (١٩٨٧)، علم الأخلاق المسيحية، (ط١) دارالثقافة – القاهرة (ج١،ص١٤٥).

القدماء بتعبير عجز الإنسان الكلي"[١]. وهنا ومن خلال ما سبق لنا بيانه حول مفهوم عقيدة الخطيئة وأثرها على الروح والجسد يتبين لنا منبع الحاجة الملحة في الرؤية المسيحية للسمو بالروح والارتفاع بها من العجز

القهري الذي تدين به لمفهوم الكمال الذي كانت عليه، كما يتبين لنا كيف استمدت الديانة المسيحية معيار السمو الروحي من عقيدة "الصورة والمثال"[٢] في رؤية النشأة الأولى لخلق الروح البشرية، إلا أننا وبكل تأكيد نحتاج أن نتعرف على حقيقة هذا السمو الروحي وكيف استمدت المسيحية وسائله عبر باقي عقائدها، وهو ما سيأتي معنا بيانه من خلال بعض مباحث الموضوع.

(١) انظر: المرجع السابق (ص١٤٥).

(٢) انظر: ما سبق في (ص١٦).

الفصل الأول

اللاهوت الروحي ومراحله التاريخية وبنية التعاليم فيه

المبحث الأول: اللاهوت الروحي

في بداية هذا المبحث أود لفت الانتباه إلى مسألة منهجية تتعلق بالتعريف بالمصطلحات العلمية وهي أن مصطلح "اللاهوت الروحي" يعد مصطلحا مركبا على صيغة الصفة والموصوف، ونحن إذا أردنا أن نضمن الوصول لفهم دقيق للمصطلح العلمي على الوجه الذي يستوعب حدوده ومفرداته فلا بد من تحليل أجزائه على هيئة مستقلة تضمن لنا فهم جميع مفرداته على الوجه الأمثل، ثم بيان ما يمكن أن ينتج لنا من خلال الجمع بين أجزائه من مفهوم جديد يفيده المصطلح المركب، أو يتميز به عن صيغته المستقلة المفردة.

المطلب الأول: مصطلح اللاهوت ودلالاته بين التراث اليوناني والمسيحي:

تعود كلمة اللاهوت إلى أصل سرياني فهي بالسريانية **"لاهوثا"** كما أن ذات الكلمة مستخدمة أيضًا في اليونانية العتيقة" Θεολογια " أي الحديث أو الكلام عن الله أو المعرفة بالله، ثم إنها من اللغة اليونانية دخلت الكلمة إلى اللاتينية وعبرت منها في الترجمات إلى الإنجليزية حيث أصبحت تعرف بمصطلح **"الثيئولوجيا Theology"** بمعنى كلمات عن الإله، كما أصبح يطلق على من يتحدث في الألوهية بمصطلح " **Theologians"** أي اللاهوتي(١)، ومن

(١) انظر: بباوي، جورج (٢٠٠٨)، المدخل إلى اللاهوت الأرثوذكسي، (ط١)، موقع الدراسات =

خلال هذا المصطلح لنا أن نتبين موضوع هذه الكلمة في المصادر المسيحية على وجه الخصوص حيث إنها تعبر عن الكلام في الله أو النطق بالمعارف الإلهية والتأمل في النصوص المقدسة[١]، أو كما تعبر عنها المصادر المعاصرة من أنه مصطلح يشير "إلى محاولة الوصول إلى منهجية في معرفة الإله وعلاقته بالموجودات"[٢].

غير أن هذا المصطلح "**اللاهوت**" ورغم استعماله الأصيل في المعارف اليونانية إلا أنه يعد أعم وأشمل في مضمونه ومعناه مما هو عليه في الاستعمال المسيحي سابق الذكر، حيث يدخل في جملة اصطلاح "اللاهوت اليوناني" الكلام عن الكون والتأمل في شؤون الحياة والمخلوقين في إطار ثقافي من الشعر والأساطير كما هو معروف عن جبال "لأوليمبس" اليونانية في القصص الشعبية، ولهذا يسمى الشاعر والكاتب في المعارف اليونانية "باللاهوتي" فهو أعم في مجاله واستعماله مما هو عليه في الاصطلاح المسيحي للكلمة، غير أن هذا المصطلح بدأ يتسم بخصوصية في مضمونه ومعناه تتفق مع الاستعمال المسيحي للكلمة وذلك في عهد "أفلاطون" حيث أنه أول من استعمل مصطلح " **ثيئولوجيا** " بالمعنى المعبر عن الألوهية، وذلك في كتابه "الجمهورية"[٣]

=

القبطية (ص٣٦).

(١) انظر: ماجراث، أليستر. أي (٢٠٢٢)، اللاهوت التاريخي، (ط١)، دار منهل الحياة-لبنان (ص١).

(٢) انظر: إيان،مرخام (٢٠١٧)، اللاهوت المعاصر دراسات نقدية، (ط١)، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية - مصر(ص٢٩٣).

(٣) انظر: أفلاطون، ترجمة حنا خباز (٢٠١٧)، الجمهورية، (ط١) مؤسسة هنداوي - المملكة =

وبالرغم من هذا التقارب الموضوعي في مفهوم اللاهوت بين التراث اليوناني والمسيحي نجد أن الفارق ما يزال موجودا عند إمعان النظر في المبادئ اللاهوتية بين التراثين وبالتحديد على مستوى مصادر المعرفة والتلقي؛ حيث يعود الفضل في استلهام المبادئ السامية عن الله والكائنات في "اللاهوت اليوناني" إلى تصورات البحث العقلي في إطار فلسفي دقيق كمصدر أساسي في النظرة المعرفية اللاهوتية، وهو ما لا تتفق معه النظرة المسيحية التي تنص على أن المبادئ اللاهوتية تصدر عن الحقائق كما هي لا عن تصورات النظر العقلي، وهو ما يُعرف في اصطلاح الكتاب المقدس بـ"الإعلانات الإلهية"، وحول هذا المعنى يرشد القس

د. جيمس آنس في تقريره لمبادئ النظرة المعرفية المسيحية المتعلقة بعلم اللاهوت فيقول: "الفلسفة الحقيقية من جانب والوحي من جانب آخر لا يتناقضان مطلقا أما علم اللاهوت فيستند على شهادة الوحي ويبني تعاليمه على إعلانات الله، والطريقتان جيدتان ولا تناقض بينهما، ولو أن الفلسفة تكشف المسائل ولا تقطع بأجوبتها بينما علم اللاهوت يقطع بأجوبة تلك المسائل ويحل معضلاتها، فتكون الفلسفة بمنزلة القفل وعلم اللاهوت بمنزلة مفتاحها"(١). ويظهر لنا من خلال هذا النص الفرق بين النظرة المعرفية في الديانة المسيحية التي تبين أن الحقائق العقلية والنظرة الفلسفية مجرد وسيلة

=

المتحدة (ص٣٢٣).

(١) انظر: آنس، جيمس (م.ج)، علم اللاهوت النظامي، الكنسية الإنجيلية بقصر الدباورة – مصر (ص٣٦).

منطقية لنتائج سبق الجزم بها من خلال "الإعلانات الإلهية" في الكتاب المقدس، وبينما سبق بيانه من أهمية مقدمات البحث العقلي في بناء التصورات اللاهوتية النهائية في التراث اليوناني، إلا أن بعض الباحثين يميل إلى توسعة الفارق بين التراثين اليوناني والمسيحي فيما هو أبعد من النظرة المعرفية في بناء المبادئ اللاهوتية ويصوغ من خلال عدة عوامل حالت دون تطور النظرة اللاهوتية اليونانية عن نضج مثيلتها في الديانة المسيحية، وهي جديرة بالتوثيق العلمي، ولذلك أنقلها بنصها على لسان د. جورج بباوي حيث يقول: "لم يصل الفكر اليوناني الوثني إلى المستوى المسيحي لعدة أسباب أهمها:

١- كان الكلام عن الله هو الكلام عن قوة ونظام بلا علاقة شخصية مع الإنسان فهو كلام عقلي.

٢- كان البحث يرتكز على مظاهر الألوهية في الطبيعة مما يجعل هذا علما من علوم الطبيعة وليس لاهوتًا.

٣- كان البحث عن الله خاضعا بشكل مباشر لفكر الإنسان فقط دون أن يكون لهذا البحث أي روافد تغذيه وتصحح اتجاهه أي الوحي وإعلانات الله في نفسه"(١).

غير أننا لا نسلِّم ل د. جورج بعض ما أشار إليه من عوامل فارقة بين التراثين كقوله بنفي وجود علاقة شخصية بين الآلهة والكيان البشري في اللاهوت اليوناني، وهو ما تشهد بعكسه الميثولوجيا اليونانية الأولمبية القائمة على تصوير

---

(١) انظر: بباوي، جورج (٢٠٠٨)، المدخل إلى اللاهوت الأرثوذكسي، (ص٣٨).

الآلهة على هيئة وصفات بشرية إلى أقصى الحدود؛ حيث تجرحهم السهام والرماح فينزفون الدم ويسمع لهم صوت الألم، ويتشاتمون ويتضاربون فيتفرقون أحزابا، ولا يختلفون عن الصفات البشرية إلا في عظيم القوة والخلود عن الموت، كما يشتركون مع البشر في الاهتمامات الثقافية والهوايات كالطب والرماية والحرية السياسية التي كان يوصف بها كبير الآلهة "زيوس" حيث وصف بـ"المخلص" وهو ذات ما كان يوصف به السيد المسيح عليه السلام في التراث المسيحي، بل إنه قد جاء في أخبار "زيوس" أنه تزوج آدمية تسمى "آكمينا" فولدت له "هرقل" الذي صار مثالًا للبطل الإله كما يزعمون(١). وفي جميع ما سبق دليل على وجود العلاقة الشخصية بين الآلهة والبشر إلى أقصى الحدود، وهو ما لا يبعث على نضج يشير إليه د. جورج بل إلى تسرب المفاهيم اليونانية الوثنية إلى مبادئ اللاهوت المسيحي، وهو ما نجد نقيضها في مبادئ العقيدة الإسلامية؛ حيث يقرر القرآن الكريم نفي أي علاقة وصلة شخصية بين الخالق والمخلوق سوى مقام العبودية، وهذا ظاهر من خلال آيات القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات: ١٥٨].

وقوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف: ١٥].

وقوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) انظر: السيد، مها محمد (م.ج)، الآلهة والأساطير اليونانية، (ط١)، مكتبة المهتدين الإسلامية - القاهرة (ص١٢) و انظر: عجيبة، أحمد علي (٢٠٠٤)، دراسات في الأديان الوثنية القديمة، (ط١)، دار الآفاق العربية - القاهرة (ص١٥٣.

وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [المائدة: ١٨].

وغيرها من النصوص التي تؤكد نضج الإسلام عن باقي التراث الإنساني؛ فالوحي السماوي وحي هداية وإرشاد لا تجربة قرابة أو نسب.

المطلب الثاني: علم اللاهوت وأقسامه في المعارف المسيحية:

يُعد اللاهوت من العلوم التي اتفقت المصادر المسيحية على حد موضوعه وتنوعت في صياغة تعريف به، وهذا راجع إلى اختلاف زاوية النظر إلى موضعه فمن الباحثين من عرَّف علم اللاهوت بالنظر إلى أهم وأبرز القضايا اللاهوتية التي يبحثها هذا العلم فعبر عنها بقوله: "**هو علم يبحث عن الله من حيث وجوده وصفاته وتوحيد جوهره وتثليث أقانيمه وأعمال عنايته وتجسيد ابنه يسوع ونسبته للإنسان ونسبه الإنسان إليه**"(١). ومثله أيضا من عرفه "**بأنه علم يبحث عن الله وصفاته وشرائعه وأعمال عنايته والتعاليم التي يجب أن نعتقدها والأعمال التي يجب أن نقوم بها**"(٢). ومن الباحثين من راعى في تعريفه للعلم صياغة يُبرز من خلالها خصوصية المعرفة اللاهوتية المسيحية القائمة على الإعلانات الإلهية عبر العهد الجديد من الكتاب المقدس فقال: "**هو الإعلان عن الله الذي يقدمه الله**"(٣). أو أنه: "**التأمل في أقوال الله كما جاءت في العهد القديم إلى أن جاء الله بنفسه وتجسد في العهد الجديد فأعلن بحضوره وبتجسده**

---

(١) انظر: مينا، ميخائيل (٢٠٠٢)، موسوعة علم اللاهوت، مكتبة المحبة، (ط١)، القاهرة (ص٧).

(٢) انظر: آنس، جيمس، علم اللاهوت النظامي، (ص١٦).

(٣) بباوي، جورج (٢٠٠٨)، المدخل إلى اللاهوت الأرثوذكسي، (ص٣٦).

وبكلماته عن ذاته"(١). ومنهم من ذهب في تعريفه إلى إبراز الغاية والفائدة من هذا العلم والتي هي تنظيم حقائق الكتاب المقدس وبيان العلاقة فيما بينها فقال: **"هو الكلام في الله وفي الإنسان وفي العلاقة بينهما وفي علاقته بالمخلوقات كافة ومعلنات الوحي، ولا سيما شخص المسيح الذي هو غاية تلك الإعلانات ومجدها"**(٢).

كما اصطلحت المصادر المسيحية للكنائس الغربية على تقسيم علم اللاهوت باعتبار علاقته بالكتاب المقدس إلى قسمين رئيسين:

أحدهما هو اللاهوت "الوحيي" أو "فوق الطبيعي" والآخر هو اللاهوت "الطبيعي"، وهذا التقسيم الاعتباري ينطلق من الكتاب المقدس كمصدر للحقائق والمعرفة، فما كان من إعلانات الكتاب المقدس وفوائد التأمل النابعة عنه فهو اللاهوت "الوحيي" نسبة إلى الوحي السماوي كوسيلة لضرورة العلم به أو "فوق الطبيعي" نسبة للقضايا التي يبحثها هذا النوع من اللاهوت، وأما القسم الثاني وهو "اللاهوت الطبيعي" فهو ما كانت مقدمة بحثه حاصل إعمال العقل والضمير في شواهد الطبيعة وما يتصل بها من أمور مادية أو معنوية مما يرتبط بعلم اللاهوت عموما، ويمكن أن يتوصل من خلاله إلى تأييد الوحي السماوي والاستدلال لمسلمات العقل الضرورية(٣).

---

(١) انظر: المرجع السابق (ص٣٩).

(٢) آنس، جيمس، علم اللاهوت النظامي، (ص١٨).

(٣) انظر: المرجع السابق (ص٢٠) ، وانظر: مينا، ميخائيل (٢٠٠٢)، موسوعة علم اللاهوت، (ص٢٤).

إلا أن لاهوت الكنيسة الشرقية "الأرثوذكسية" يختلف عما سبق بيانه في تقسيم لاهوت الكنائس الغربية حيث إن الآباء الشرقيين اصطلحوا على تقسيم اللاهوت المسيحي إلى موضوعين هما:

١- "التدبير" ويصطلح عليه بـ"الإيكونوميا" وهو يرمز إلى جملة order of salveatin بمعنى خطة أو هدف الخلاص؛ حيث تدرس "الإيكونوميا" بشكل خاص مسألة التجسيد في الابن والخلاص وتحرير الإنسان من سلطة الشر عليه وما يسبق ذلك من مقدمات، ومن ذلك الكلام عن بداية خلق الإنسان والسقوط في الخطيئة الأولى والتي من خلالها تُفهم الغاية من التجسيد والحاجة لتدبير الخلاص المسيحي كما تُدخل المصادر الشرقية الأسرار الكنسية في جملة هذا القسم من اللاهوت لاتصالها بمسألة التجسيد كسر "لأفخارستيا"(١).

ويمكن لنا إذا أردنا إجمال موضوعات قسم "التدبير" أن نقول إنها تقوم على شقين أحدهما:

أ- التجسيد الإلهي في شخص المسيح عليه السلام كما هو الاعتقاد المسيحي، وهذا هو جوهر موضوعي هذا القسم.

ب- دراسة مقدمات التجسيد وحال الإنسان قبل وبعد السقوط وما يتصل بها من مسائل لاهوتية.

٢- "اللاهوت" ويصطلح عليه "بالثيئولوجيا" ويعنى بدراسة الطبيعة الإلهية بشكل خاص وما يتصل بها من موضوعات كوجودها وأقانيمها وصفاتها

---

(١) أي: العشاء الرباني الذي يكون عبر تناول الخبز والخمر في كل قدَّاس وهو أحد أسرار الكنيسة السبعة.

ونحوها مما يُدرس في لاهوت الكنائس الغربية[١].

المطلب الثالث: الروحانية:

يعد مصطلح "الروحانية " كتعبير نصي غير مستخدم في ألفاظ الكتاب المقدس، إلا أنه توجد عبارات " كالهبة والبركة" الروحية لها ذات الدلالة وهي مستعملة بكثرة في أسفار العهد الجديد (١كورنثوس١٢:١) غير أن الرأي في نسبة "الروحانية" إلى اشتقاقها عن لفظ "الروح القدس" هو الأقرب لمفهوم المصطلح الخاص على حد تعبير بعض المصادر، كما نقرأ "إن الروح القدس هو المصدر والمبدأ للاختبار الديني المسيحي وهو البداية والنهاية للروحانية المسيحية"[٢].

وهو اختلاف يعزى لمسلكين يتنازعان نسبة هذا المصطلح وينعكسان على محاولة صياغة تعريف به فأما المسلك الأول فهو من ينسب مصطلح "الروحانية" في نشأتها إلى ثلاث أو أربعة قرون ماضية بعد ظاهرة تصفها المصادر بالانفصال الجذري بين اللاهوت النظري للكنائس النظامية وبين الحياة الروحية العملية للفرد المسيحي؛ حيث انشغلت معاهد اللاهوت النظامي بتعليم المبررات المنطقية للعقائد المسيحية مع تصاعد الحداثة، في حين تراجعت التجربة الروحية العملية عن اللاهوت النظري وانحصرت في قلة من المحاولات وانفصلت عن جماهير المسيحيين في مقابل اللاهوت النظري

---

(١) انظر: بباوي، جورج (٢٠٠٨)، المدخل إلى اللاهوت الأرثوذكسي، (ص١٢١،١٣٦).
(٢) انظر: هوبكو، توماس (٢٠١٢)، مقالتان في الروحانية الأرثوذكسية، (ط١)، مطرانة ملوى - مصر (ص٣٤).

التابع للكنائس، وفي بيان حجم الانفصال ومظاهره يصوغ لنا د. توماس هوبكو الأستاذ في معهد فلاديمير الروسي بعبارته هذا الواقع فيقول: "إن الحياة الروحية لم تعد منفصلة عن اللاهوت في واقع الحياة فحسب، وإنما اعتبرت مضادة لها أساسا، ولقد حدث هذا لأن اللاهوت أصبح أكاديميًّا ذهنيًّا علميًّا وتدريبًا عقليًّا يختص بالتعبيرات اللغوية المنطقية والفروض الصادرة عن السلطة واعتبر جمهور المؤمنين أوفياء بطاعتهم السلطات ما دامت عقائد الكنيسة قد أصبحت أمرًا يجب الخضوع له والإيمان به والدفاع عنه لا أمرًا يتفهمونه ويختبرونه، وكان هناك فزع في الكنيسة من أي حركة للروح لا تتماشى داخل حدود القواعد الرسمية للعقيدة؛ فلم يكن ثمة مكان للاختبار الديني والحياة الروحية في دائرة علم اللاهوت المحض القائم على المنطق والسلطة ولم يلعب الإيمان المسيحي والقداسة الشخصية أي دور سواء في المصدر أو في الهدف، فمن برع في استخدام المنطق ومعرفة النصوص بدقة استطاع أن يكون لاهوتيا حتى إن كان خاطئًا أو غير مؤمن"(١).

وعلى ضوء ما سبق نجد أن أتباع هذا المسلك يؤكدون من خلال الصياغات التعريفية للروحانية أنها مفهوم معاصر جاء لمحاولة إبراز المبادئ والأسس اللاهوتية والملامح الروحية في حياة الفرد المسيحي ويبدو لنا أن أحد هذه الصياغات هي ما قدمته د. ماري ميخائيل رئيسة كلية اللاهوت في بيروت عبر مؤتمر للروحانية أقامته رابطة الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط في قبرص عام ١٩٩٨م حيث تعرف الروحانية بأنها "الحياة الروحية وتفهم وفهم

---

(١) انظر: هوبكو، توماس (٢٠١٢)، مقالتان في الروحانية الأرثوذكسية (ص٨).

الإنسان شخصيًّا لإرسالية المسيح الخلاصية عبر أنماط القداسة في الحياة العملية للإنسان المؤمن"(١). و يظهر للقارئ من خلال هذا التعريف مسلك الباحثة الذي يشير أن الروحانية تجربة شخصية مستقلة عن أنماط اللاهوت التقليدية كما يؤكد القس د. مكرم نجيب هذا المسلك من خلال وصفه الروحانية بعبارة "أسلوب حياة"، وهذا من خلال تعريفه لها حيث يقول: "الروحانية للفرد والجماعة هي صدق اختبار لحضور الله الحي في شخص يسوع المسيح عليه السلام وطريقة تفكير كتابية ولاهوتية تُنتج لنا أسلوب حياة داخل حضارة معينة وفي مكان وزمان معينين سواء داخل الكنيسة في طرق العبادة والخدمة، أو في الحياة اليومية فالروحانية مفهوم وممارسة"(٢)، وفي المقابل نجد أن المسلك الثاني يؤكد على نسبة "الروحانية" إلى التقاسيم المتفرعة عن اللاهوت "**الأدبي**" الذي يقابل اللاهوت "**العقدي**" "**الثيئولوجيا** " على اعتبار أن هذا القسم يدرس ما يجب أن يؤمن به الفرد المسيحي، فيما يعلمنا القسم الأدبي ما يجب فعله أو تحاشيه من المهلكات، كما تقسم المصادر المسيحية "الروحانية" إلى "**لاهوت نسكي**" يتناول التدريبات المتطلبة من الطامحين للكمال وإلى "**لاهوت صوفي**" يتناول النمو الداخلي في محبة الله الكاملة إلى الوصول إلى الاتحاد معه، وهو على هذا المسلك جزء أصيل من المعارف المسيحية لم يتأثر بالحركات الروحية المتأخرة أو جاء كرد فعل للانفصال بين العلوم النظامية والتجربة الروحية العملية لواقع التعاليم المسيحية، وإنما هو

---

(١) انظر: نجيب، مكرم (م.ج)، الروحانية الجذور والثمار، (ط١) (ص٦).

(٢) انظر: المرجع السابق (ص٦).

امتداد لتقسيم اعتباري للآباء الكنيسيين بين اللاهوت العقدي والأدبي، ومن أبرز من مال إلى هذا المسلك هو القس د. بي بولات عميد كلية اللاهوت بليون؛ حيث يصوغ بعبارة واضحة تعريف "الروحانية" بقوله: "هو ذلك الجزء من علم اللاهوت الذي يتناول الكمال الإنجيلي والطرق التي تؤدي إليه"(١). فهو من خلال هذا التعريف يؤكد على تبعية الروحانية لأجزاء العلوم اللاهوتية النظامية من خلال المسلك الذي سبق بيانه.

إلا أن هذا لا يعني بالضرورة عدم إمكان التوسط بين المسلكين خصوصا إذا ما تم الأخذ بالاعتبار إعادة تدوير المصطلح في أغراض فكرية معاصرة قد تكون تقاطعت مع الاستعمال اللاهوتي في الغرض الدلالي؛ حيث لا غنى للتجربة الروحية المعاصرة عن المصادر النظامية، وهذا ما يميز اللاهوت الروحي إذ إنه مجال يهتم بالحياة الروحية ويصوغ لها أسسها وأهدافها وسبيل النمو فيها، ويتميز بأنه عملي ونظري في آن واحد فيشمل التعاليم الروحية التي بمنزلة القيم كما يشمل الطقوس والشعائر العبادية العملية التي تسمو بالروح البشرية إلى مصاف الكمال المنشود.

---

(١) انظر: بولات، بي (٢٠١٢)، تاريخ الروحانية المسيحية، (ط١)، دار الكلمة - القاهرة (ج١،ص٩).

المبحث الثاني: مراحله التاريخية

المطلب الأول: روحانية الكنائس الأولى:

في الفترة المبكرة من تاريخ الديانة المسيحية لم تكن الكنيسة ذات تنظيم وهيكل يمكن التعرف عليه كمؤسسة دينية بالمعنى الحديث؛ حيث إنها كانت تضم زمرة من الفقراء والبسطاء المضطهدين الذين آمنوا بدعوة المسيح عليه السلام واشتركوا بينهم روح الجماعة وكانت مدينة الجليل التي نشأ فيها المسيح عليه السلام هي منطلق غالب هذه الجماعة البسيطة التي كانت تدين باليهودية التي تميزهم عن الوثنية السائدة في بلاد الرومان، ومع قلة المصادر المسيحية التي توثق لهذه الفترة من تاريخ الديانة نجد أن سفر أعمال الرسل (١٥:١) يشير إلى بعض الأحداث التي يمكن أن تصور نواة ما يعرف بالكنيسة البدائية لهذه الجماعة المسيحية؛ حيث ينص على أنه بعد حادثة الصلب في أورشليم اجتمع بطرس ومن معه يوم الخمسين لمناقشة الحدث الذي يعبر عنه بأنه الأعظم في عقائد الديانة بعد الصلب المزعوم وهو قيامة المسيح عليه السلام من الأموات وصعوده إلى الآب السماوي، وقد أعلن هذه العقيدة بطرس في عظة منقولة في سفر أعمال الرسل (١٤:٢)، ويبدو أنها أثارت حماس الحاضرين ليؤمن فور سماعها ٣٠٠٠ من الجموع الحاضرة، ويكون هذا الاجتماع بداية التبشير بأول العقائد المسيحية الخالصة البعيدة عن التأثير اليهودي، كما أن روح التنظيم بدأت تظهر

في هذه الجماعة من خلال ما تذكره المصادر من انتخاب "متياس" رسولًا مبشرًا بالمسيحية خلفًا "ليهوذا الإسخريوطي" الذي خان دعوة المسيح وأسلمه إلى اليهود والتوافق على بادرة هوية مستقلة لهذه الجماعة من خلال اشتراط المعمودية كسبيل لقبول الروح القدس والإيمان الجديد وتعظيم يوم الأحد الذي قام فيه المسيح ويوم الجمعة الذي صلب فيه زعمًا بالإضافة ليوم السبت اليهودي.

ثم إنه أصبح لهذه الجماعة الأولى نوع من المركزية والوصاية المعنوية على باقي الجماعات المسيحية المنتشرة فيما بعد في بلاد آسيا الصغرى واليونان وروما لما لها من سبق النشأة في أرض أورشليم المقدسة حيث لم تزل صلة تلك الجماعات وثيقة بالمقدسات اليهودية ولاختبار قادتها بطرس ويوحنا ويعقوب العادل شرف صحبة المسيح عليه السلام في دعوته إلا أن هذا لم يدم طويلا حيث فرت هذه الجماعة المسيحية من أرض أورشليم مع بداية الثورة اليهودية عام ٦٦م وأصبح رجوعها إلى هذه الأرض أمرا عسيرًا بعد خراب الهيكل عام ٧٠م على يد الإمبراطور الروماني" تيتوس"(١).

إن خلو مطلع الكنيسة الأولى من الصيغ اللاهوتية وقوانين الإيمان كان أبرز السمات المميزة لهذه الجماعة المسيحية الناشئة؛ لما في التراث اليهودي من كفاية لها عبر صلتها بالترجمة اليونانية -السبعينية- للعهد القديم وتراث المسيح عليه السلام الذي لم يزل محفوظًا في الذاكرة، وهو المبرر على ما يبدو لتأخر

(١) انظر: لوريمر، جون (٢٠١٣)، تاريخ الكنسية، دارالثقافة، (ط١) – القاهرة (ص٣٧).

هذه الصياغات النظامية خشية الانغماس في الصورة الجوفاء لشعائر الناموس الظاهرة، حيث جاء ذم حرفية العبادة على لسان المسيح عليه السلام في خطابه للأمة اليهودية.

إلا أن هذه الجماعة شهدت بعض التحديات المبكرة بعد انتصاف القرن الأول الميلادي حتمت عليها ضرورة الالتزام بضوابط للحياة الروحية مع جملة من الصيغ النظامية التي تسمح لها بمسايرة هذه التحديات المستجدة، ولا شك أن أبرزها هو ما تقرر في مجمع أورشليم الأول عام ٥٠م من السماح للرسل المبشرين بدعوة الأمم من سائر الديانات بعد أن كانت الدعوة توجه لشعوب اليهود خاصة، ويبدو أن هذا القرار ساهم في انتشار الدعوة ونمو أتباعها في المدن والعواصم ذات الجالية اليهودية الأقل كالحبشة وشمال إفريقيا، إلا أن أنه أضحى في ذات الوقت وسيلة تهدّد الهوية المسيحية؛ لما تحمله هذه الشعوب من انحراف أخلاقي وممارسة وثنية كانت لا تزال عالقة في السلوك العام ما أدى إلى ضعف الصلة بالمقدسات المسيحية الجديدة بالإضافة لحاجة الكنيسة لضرورة تعليم هذه الشعوب ميزات الإيمان الجديد خشية أن ترتد مع أول فتور لبريق هذه الدعوة الحديثة.

ويظهر أن أول الوثائق التاريخية المحفوظة التي نصت على صياغة لبعض الضوابط الروحية هي **"الديداكية Didaache"** أو تعاليم الرسل الاثني عشر التي كشف عنها **"Philotheos Bryennio**s" في مكتبة مخطوطات القبر المقدس في إسطنبول والمعروفة في الأوساط الكنسية بمخطوط أورشليم ٥٤؛ حيث إنها نقلت عن القدس عام ١٦٨٠م وهي لكاتب مجهول يرجح أنه من أتباع كنائس مصر أو أنطاكيا، وقد أشرف على تحقيق المخطوط والعناية به

رجل مجهول أشار إلى نفسه بلقب "الراهب القبطي"[١] إلا أن عمله فيها أبان أن له معرفة ودراية بالتحقيق، وقد عزا زمن تأليف الوثيقة إلى الربع الأول من القرن الثاني فيما لا يتعدى ١٢٠م ميلاديًّا، فيما نسبها بعض المؤرخين إلى فترة مبكرة من القرن الأول بين عام ٥٠م إلى ٦٠م[٢]، ولم أقف على من يعزوها إلى ما بعد ١٩٠م في أقصى تقدير لها، وقد جاءت هذه الوثيقة بمجموع ١٦ إصحاحًا بصياغة لاهوتية بسيطة لبعض الضوابط الروحية من خلال المقارنة بين حياة القداسة المسيحية وحياة الخطيئة خارج الإيمان أو ما تصفه الوثيقة بـ"طريق الحياة" و"طريق الموت" عبر التمثيل لبعض القيم الروحية ومحاسن السلوك (المحبة، العطاء، التواضع) والنهي عن بعض الذنوب والشهوات (القتل، الزنا، الكذب، السحر، اضطهاد الصالحين) مع تحذير من بعض الممارسات الوثنية (التطير، التنجيم، الرقى، عادات التطهير الوثني) في ٦ إصحاحات متوالية لم تُرَ متسقة قبل ذلك إلا في "موعظة الجبل" كما في إنجيل "متى" وقد اقتبست الوثيقة بعض ما في الموعظة بشكل حرفي، ويبدو أنها الأصل لبعض ما جاء في الموعظة حيث رجح البعض تقدمها عليها بالتدوين، كما أشارت لنظام كنسي يرتب لها أساقفة وشمامسة للرعاية والإرشاد الروحي، وهو تنظيم يختلف عن التمييز العفوي الذي يشير إليه بولس[٣] في رسالة

(١) انظر: السقا، أحمد حجازي (٢٠٠٥)، إنجيل الديداكي، (ط٢) دار البروج للنشر – القاهرة (ص٢٥١).

(٢) انظر: الدومينيكي، جوردان أومان (٢٠١٣)، تاريخ الروحانية المسيحية في التقليد الكاثوليكي، (ط١)، دار المشرق – بيروت (ص٣٢).

(٣) بولس: أو شاؤول الطرطوسي، يهودي ثم أصبح أحد قادة الكنسية في القرن الأول، ت٦٤م، =

كورنثوس (١٢،١٣) بالمواهب والوظائف الكنسية مع الإشارة لنظام الضيافة المسيحي داخل الكنيسة ونشأة للنزعة الدفاعية لديها عبر النص على ضوابط صريحة لاختبار الرسل الكذبة تعد الأولى من نوعها في تاريخ الكنيسة كما نقرأ:

"كل من يأتي باسم الرب اقبلوه بعد اختباره تعرفونه لأنه سيكون لكم تميز اليمين واليسار".

"لا يبقى عندكم سوى يوم واحد أو يوم آخر عند الضرورة فإن مكث ثلاثة أيام فهو نبي كاذب".

"عندما يمضي الرسول فلا يأخذ شيئًا إلا الخبز إلى أن يدرك مبيتًا أما إذا طلب دراهم فهو نبي كاذب".

"ليس كل نبي يتكلم بالروح فهو نبي بل من له سلوك الرب فمن السلوك يعرف النبي الكاذب والنبي الحقيقي كل نبي يعلم الحق إن كان يعلم ولا يعمل فهو نبي كاذب"(١).

وقد أعقبت هذه الوثيقة مجموعة من الرسائل التاريخية التي توثق بمجموعها لروحانية الكنائس الأولى وطبيعة النظام فيها ونذكر منها ما يلي:

١- **رسالة الكورنثيين** لمؤلفها "أقلمندس الروماني" البابا الثالث بين عام

= وله ترجمة في سفر أعمال الرسل (١:٩) كما تنسب له أربعة عشر رسالة هي اليوم ضمن العهد الجديد.

(١) انظر: السقا، أحمد حجازي (٢٠٠٥)، إنجيل الديداكي، (ط٢)، دار البروج للنشر - القاهرة (ص٢٤).

٩٢- ١٠٢م، وهي رسالة يتيمة إذ إنها الأثر الوحيد المنسوب لهذا البابا، وتستمد هذه الرسالة أهميتها من شخص مؤلفها الذي يعد رأس السلطة الكنسية المسيحية، بالإضافة لزمن تأليفها المؤرخ لها بعام ٩٦م من القرن الأول؛ حيث تعد أول أثر تاريخي يوثق لسلطة الكنيسة المركزية في روما خارج حدودها الجغرافية، وهي موجهة لوأد فتنة وصفت بـ"الكفر والرجاسة" ابتدأها أفراد منشقون عن الكنيسة الكورنثية بعزل بعض الأساقفة من غير وجه حق حيث جاء في نصها: "ليس من الأخطاء البسيطة أن يُعزل من الأسقفية رجال يقدمون القرابين بتقوى لا عيب فيها، إذ نحن نرى أنكم عزلتم أكثر من شيخ صالح من خدمة كان يزاولها بلا لوم، وكان يحظى من أجلها بتقدير الجميع"(١). فجاءت هذه الرسالة بداعي الاحتجاج والشجب على المنشقين وتأكيد التزام الوحدة ونبذ النزاع والحسد وضرورة الانضباط بالتراتيب داخل الكنيسة الكورنثية, وتحتوي هذه الرسالة على مقدمة يستعرض فيها المؤلف التاريخ القديم لهذه الكنيسة المعروف بالحماسة الدينية ثم التركيز على فكرتين رئيسيتين هما لب الرسالة:

١- التحذير من خطر الحسد من خلال الاستشهاد بقضية قايين وأخيه هابيل وقصة يوسف عليه السلام وإخوته، وسرد لقصة مقتل بطرس كمثال للإيثار وتحمل آلام الدعوة.

٢- الدعوة لفضيلة التواضع والتزام العمل الكنسي من خلال الاستشهاد

---

(١) انظر: نصور، جورج (١٩٧٥)، سلسلة أقدم النصوص المسيحية، (ط١)، رابطة الدراسات اللاهوتية في الشرق الأوسط - لبنان (ص٥٥).

بحرفية العبادات في العهد القديم وتنظيم المسيح عليه السلام للدعاة الأولين، ثم خاتمة فيها الأمر بالاجتماع والطاعة وحسن النظام.

وأما عن الفائدة التي تظهر من خلالها مناسبة الرسالة لمطلب البحث فهي بأنها تؤرخ لبداية سلطة البابا الفاعلة على روحانيات باقي الكنائس التابعة له، وبالتالي صياغة ما يمكن أن يصطلح عليه بـ"عقل الكنيسة" في زمن مبكر من تاريخ الديانة يوازي أو يسبق تواريخ تقديرية لكتابة ثلاثة من الأناجيل المعتمدة كالنسخة اليونانية لإنجيل "متى" المنقولة عن النسخة الآرامية الأصلية المحصورة بين عام ٧٥-٩٠م وإنجيل "لوقا ويوحنا" ورسائله المقدرة في الفترة ما بين عام ٩٠ و١١٥م.

٢- **رسالة الراعي** المؤلفة بين ١٤٠ و١٥٠م للأب الرسولي "هرماس"، وهو أحد أتباع الكنيسة الرومانية البارزين وشقيق البابا "بيوس الأول١٥٤م"، وقد ألف الرسالة بأسلوب الرؤى والإيحاءات التي تلقاها عن ملاك التوبة الذي كان يتمثل له بصورة راعي، وهو أسلوب ذاع في هذه الفترة من الزمن؛ حيث كانت الرؤى تعد من الهبات الروحية الشائعة في شيوخ وآباء الكنيسة الأولى.

تضم الرسالة خمسة روئ قصها "هرماس" لكل رؤيا منها تعاليم رئيسة، وفي نهاية الرؤيا الخامسة يملي الملاك الراعي على "هرماس" ١٢ وصية و١٠ أمثال، وهي على النحو الآتي:

الرؤيا الاولى: تحث على التوبة من خطيئة الشهوة المحرمة.

الرؤيا الثانية: نصيحة لشيوخ الكنيسة بالعودة للبر والبساطة.

الرؤيا الثالثة: رؤيا "البرج" ويرمز للكنيسة وفيها الحث بالصبر على

عذابات الدعوة.

الرؤيا الرابعة: رؤيا "الوحش" وهو رمز ما يستقبل الدعاة من البلاء.

الرؤيا الخامسة: رؤيا "ملاك التوبة الراعي" والوصايا الاثني عشر.

ويظهر من خلال هذه الرسالة اهتمام الكنيسة بالبر بشقيه الروحي والسلوكي مع ما يشير لبدايات مبكرة للرهبنة والتصوف السلوكي في بعض النصوص كما نقرأ: "أتتصور إذًا أن خطايا الذين يندمون تغفر لهم فورًا, كلا يجب على التائب أن يُخضع نفسه للعذاب ويمارس في كل سلوكه تواضعًا عميقًا ويتكبد جميع أنواع المحن فإذا تحمل بجد الويلات التي تحل به يترأف عليه الذي خلق كل شيء ووطد كل شيء"(١).

بالإضافة لنصوص تشير إلى تطور الحس الدفاعي داخل الكنيسة حتى أصبح بصيغة قواعد يحاكم إليها الدعاة والأنبياء الكذبة: "وما السبيل يا سيدي لمعرفة النبي الصادق من النبي الكاذب بينهم؟ فقال: إليك القاعدة التي يمكنك بها التمييز بين هذين النوعين من الأنبياء يمكنك أن تتأكد من أن الإنسان يسكن فيه روح الله من حياته أولًا، الذي يسكن فيه الروح الإلهي المنحدر من فوق وديع وهادئ، هذه هي حياه الأنبياء على نوعيها، فاحكم إذا على الإنسان الذي يدعي أنه يحمل روح الله من أعماله وحياته"(٢).

وبالمجمل وبعد استعراض أبرز الوثائق المحفوظة التي تمثل النصوص

---

(١) انظر: نصور، جورج (١٩٧٥)، سلسلة أقدم النصوص المسيحية (ص١٨٦).
(٢) انظر: المرجع السابق (ص١٤٨).

التاريخية المبكرة للديانة المسيحية، نشير إلى أنها تخلص إلى سمات جامعة لروحية هذه الكنائس الأولى, تكاد لا تخلو منها الوثائق السابقة أو اللاحقة لها حتى مطلع القرن الثاني الميلادي، **وهي كما يلي**:

١- **أنها (مركزية)** تتمحور حول طبيعة المسيح عليه السلام وتستمد روحها في معنى انقسام ذاته بين البشرية والألوهية في محاولة لتطبيع الخلفية الروحية لهذه العقيدة؛ كما نقرأ في نصوص رسالة الكورنثيين: "يسوع المسيح هو الكاهن الأعظم لقرابيننا وحامينا وعوننا في ضعفنا به نرفع أنظارنا إلى السماء به نرى كما نرى في المرآة وجه الله الطاهر كلي البهاء"(١).

"بسبب المحبة التي أحبنا بها سفك يسوع المسيح ربنا دمه لأجلنا بحسب مشيئة الله وأعطى جسده لأجل جسدنا وروحه لأجل روحنا"(٢).

"وكما أن الله حي مع الرب يسوع المسيح والروح القدس موضع إيمان المختارين وأملهم كذلك الذي يمارس بتواضع الوصايا والتعاليم التي تلقيناها من الرب بمثابرة وبدون إهمال سيجد مرتبة ومكانة بين الذين افتداهم يسوع المسيح الذي به يليق مجد الله من أبد الدهور"(٣). وهو جانب بات يعرف اليوم بمصطلح "الإيكونوميا" ويعبر عن الفرع اللاهوتي الذي يُعنى بدراسة طبيعة المسيح الإنسانية والإلهية وما يتصل بها من مسائل لاهوتية.

---

(١) انظر: نصور، جورج (١٩٧٥)، سلسلة أقدم النصوص المسيحية (ص٤٧).
(٢) انظر: المرجع السابق (ص٦٠).
(٣) انظر: المرجع السابق (ص٦٩).

٢- **أنها (راصدة)** حيث إن الكنيسة والأتباع كانوا على إيمان ساهر بعقيدة المجيء الثاني للمسيح عليه السلام وأنه قريب جدا حتى أنه لا يتعدى جيل الرسل الأول كما نقرأ في مرقس "الحق أقول لكم إن من القيام ها هنا قوم لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوة" (٩:١).

"الحق أقول لكم لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله" (١٣:٣٠).

ولهذا نجد أن روحانية الكنائس الأولى على تشبع واستعداد مترقب لهذا الرجاء الموعود والذي يظهر في نص الديداكية بصراحة كما نقرأ "اسهروا لحياتكم، ولا ترتخي أحقاؤكم، بل كونوا مستعدين لأنكم لا تعلمون الساعة التي يأتي ربنا"(١). وهي سمة عامة تطورت فيما بعد لما بات يعرف بـ"العقيدة الألفية" وهي تفسير حرفي لرؤيا يوحنا (٢٠:١،١٠) التي تزعم أن بين صلب المسيح ومجيء ملكوته ألف عام.

٣- **أنها (قيمية)** والمراد أن جوهر النمو الروحي فيها يقوم على ممارسة الفضائل العملية وتنميتها بشكل جماعي كالإيمان والمحبة والتواضع والنقاوة والعفة والصبر وغيرها في مجموعة قيمية ترددت كرمز للطاعة وسبيل للتزكية، وهو ما يختلف عن حياة المعرفة التأملية القائمة على العزلة وفحص الذات وإنكارها في مدارج من التأملات النظرية حيث إن هذا المعنى الفلسفي لم يعرف كسمة روحية إلا في أخلاقيات الرهبنة مطلع القرن الرابع الميلادي كما يعد نتيجة منطقية ترجع لقرب عهد الكنيسة الأولى من زمن دعوة المسيح عليه السلام

---

(١) انظر: السقا، أحمد حجازي (٢٠٠٥)، إنجيل الديداكي (ص٢٥).

واختبار أتباعها الأثر الروحي لتعاليمه كواقع عملي لم يزل مشاهدا ومحسوسا لا كمثالية نظرية، ولعل أبرز ما اختبره هذا المجتمع هي الحرية من الأعباء الروحية الثلاث (الخوف، الخطيئة، الأنانية) التي أشار إليها د. هيوستن سميث حيث يرى أن الخوف من المجهول لا سيما ما بعد الموت والشعور الفطري بتأنيب الضمير وجلد الذات جراء الخطيئة والخروج من ضيق المصلحة إلى سعة المشاركة هي أهم ما تحررت منه الأمة الوثنية بدعوة المسيح عليه السلام(١)، إلا أننا لا نسلم بمطلق هذا التصور الحاصر لأثر دعوة المسيح عليه السلام؛ حيث إن هذه الأعباء لا تعدو أن تكون قيمًا شيوعية لم يخل منها العهد القديم أو الحكميات التاريخية، وإنما الأثر الروحي الصريح في دعوة المسيح عليه السلام كان في التأكيد على نبذ الآصار البشرية عن الوحي السماوي، والتأكيد على توجيه هذه القيم الروحية لتكون بوابة لتوحيد الألوهية لرب البرية جل وعلا، وقد جاء هذا المعنى صريحا في الكتاب المقدس كما نقرأ في مرقس: "لذا أقول لكم كل خطيئة وتجديف يغفر للناس أما التجديف على الروح القدس فلن يغفر للناس، ومن قال كلمة عن ابن الإنسان يغفر له وأما من قال كلمة عن الروح القدس فلن يغفر له لا في هذا العالم ولا في الآتي" (١٢: ٣١،٣٢).

"لماذا تدعونني صالحا ليس أحد صالحا إلا واحد هو الله ولكن إذا أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا" مرقس (١٩: ١٧).

وهو ذات التأكيد والأثر الوارد على لسان المسيح في القرآن الكريم في قوله

---

(١) انظر: سميث، هيوستن (٢٠٠٧)، أديان العالم، (ط٣)، دار جسور الثقافية – حلب (ص٤١٧).

تعالى: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝٥٠ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٥٠-٥١].

المطلب الثاني: روحانية الكنائس الشرقية:

في مطلع القرن الثالث الميلادي حققت الديانة المسيحية انتشارا لافتا في بلاد آسيا الصغرى وأفريقيا الشمالية وأوروبا من خلال حسن استغلال دعاة المسيحية لطرق التجارة البرية والبحرية التي شقتها الإمبراطورية الرومانية مترامية الأطراف لتنجح من خلالها المسيحية بالوصول إلى أكبر قدر من المساحة الجغرافية في نشر دعوتها الناشئة.

إلا أن هذا النمو والانتشار الواسع في البلاد الرومية حتم على أتباعها تميزا مضطردا عن باقي الثقافات الوثنية السائدة في نواحي البلاد، وبدأت تظهر على إثرها ما تعكسه العقائد المسيحية الجديدة من اختلاف في واقع الحياة الثقافية والاجتماعية للمجتمع الوثني؛ فنجد أن الفرد المسيحي بدأ يختبر في حياته اليومية أثر إيمانه تجاه بعض الممارسات اليومية في المجتمع الوثني من خلال عدم التبادل التجاري في الأسواق حيث اللحوم تذبح للأوثان وعدم الانخراط في المناسبات الرسمية كالأعياد الوثنية وحلبات المصارعة ذات الممارسات الدموية بغرض التسلية، كما تذكر بعض المصادر أن الجماعات المسيحية كانت تواجه صعوبات في تلقي الرعاية الطبية حيث إن دور الطبابة كانت تناط بالكهان الذين يصلون لآلهة الشفاء الوثنية.

في حين أن أبرز هذه المفارقات هي في الموقف المسيحي المضطرب تجاه

الملتحقين بالخدمة والحملات العسكرية الرومية حيث يعد قسم الولاء فيها بالغ الأهمية، بل هو معيار للمواطنة بحد ذاته إذ إنه وعد غير مشروط بالطاعة والولاء في سبيل الإمبراطورية، وفي المقابل نجد الرؤية المسيحية تقرر النهي عن سفك الدماء، وأنه لا يمكن أن يجتمع لشخص واحد الولاء المطلق لله وللبشر، وعليه فلا ينبغي للجندي المسيحي المشاركة في إزهاق الأرواح أو تنفيذ الإعدام وطاعة أوامر القادة في ذلك.

وقد عصفت مثل هذه المواقف بالجماعات المسيحية عبر البلاد بعد ترددها في الطبقات العليا حيث صدر على رجعها مرسوم الإمبراطور "سبتيموس سيفروس" عام٢٠٢م بحظر الدخول في الديانتين اليهودية والمسيحية واعتبار فتور حماس الجندي المسيحي للمعارك بادرة عدم ثقة لتبدأ بعدها حملة من التطهير الديني في عموم الإمبراطورية عبر فرض تقديم القرابين لتماثيل الإمبراطور ويكون جزاء عدم الامتثال لها هو الحرق والقتل، وقد استمر هذا الحال سنة كاملة فيما يعرف تاريخيا بالاضطهاد المسكوني الأول، هربت فيه كثير من الجماعات المسيحية إلى الصحاري والقفار، واعتصمت بكهوف الجبال هربا بالنفس من القتل ورهبا بالإيمان من الوثنية.

إلا أن بعض الأساقفة المسيحيين حاول مقاربة الموقف والسعي في إنهاء هذا الاضطهاد كما نقرأ في وعد القديس ترتليان للأباطرة بالصلاة لهم أن يباركهم الرب ويعينهم بالجيوش الباسلة، ورغم هذه البادرة المسيحية للمقاربة بين العقيدة الجديدة ورغبات السلطة الإمبراطورية إلا أن الشعور العام بالعداء تجاه المسيحية تسرب إلى عموم الرعية في البلاد حيث تم اعتبارها جماعة ملحدة تثير غضب الرب، وتنسب إليها الكوارث الطبيعية والنكبات العسكرية

في البلاد، وهو ما هيأ الأجواء لعود الاضطهاد مرة أخرى عام ٢٤٨م حيث أصدر الإمبراطور "ديسيوس" مرسوما يوجب على المسيحيين تقديم الذبائح المقدسة للآلهة الوثنية والأكل منها، وزاد الأمر شدة اعتبار عموم المسيحيين محل اتهام إلا من له شهادة وفاء بأداء القربان المقدس.

ومرسوم آخر كذلك في عهد الإمبراطور "فاليريان" من عام ٢٥٧م ولمدة ثلاثة أعوام يقضي فيه بقتل وإحراق وسلب كل من لا يقدم القرابين المقدسة أو التهديد بالنفي إلى معسكرات العمل الشاق(١)(٢).

جميع ما سبق من الاضطهادات الطويلة والمتقاربة شكلت نواة للعزلة لدى طائفة كبيرة من الأساقفة والنساك المسيحيين لتبدأ خلالها حركة روحية جديدة باتت تعرف بالرهبنة والعمل التوحدي والتي انكفأت بالجماعات المسيحية من العمل التبشيري العام إلى الاكتفاء بالنفس والسعي في مرادات روحية شخصية أو فئوية أقل شيوعا وأعمق حضورا في مجال التأليف اللاهوتي، ويبدو أن عامل الاضطهاد لعب دورا بارزا في نشأة نظام الرهبنة إلا أن بعض المصادر التي أتت على دراسة أصول الترهب المسيحي تشير إلى أن عوامل ما بعد الاضطهاد هي الأقرب لتعليل هذا الاتجاه الروحي مع التأكيد على وجود صلة متداخلة بين العوامل إجمالًا، وفي ذلك يقول الأب جوردان أومان الدومينيكي: "ولد الاضطهاد عددا من المتوحدين أقل مما ولده السلام وانتصار الكنيسة، كان المسيحيون الذين يعارضون رغد العيش يخشون أن يضلل السلام الحواس

---

(١) انظر: القيصري، يوسابيوس (١٩٧٩)، تاريخ الكنسية، (ط٢)، مكتبة المحبة - مصر، (ص٣٥٣).

(٢) انظر: لوريمر، جون (٢٠١٣)، تاريخ الكنسية، (ط١)، دار الثقافة - القاهرة، (ص١٦٩).

أكثر من تضليل وحشية المستبدين"(١).

حيث يشير في خطابه السابق إلى التحول الكبير الذي لحق طبيعة الكنيسة المسيحية بعد غزو قسطنطين لروما عام ٣١٣م ثم اعتماده المسيحية الديانة الرسمية للدولة وبهذا ضمنت لاتباعها ميزة اجتماعية كانت تفتقدها؛ الأمر الذي ساهم في إقبال العامة على اعتناقها مسارعة في استرضاء السلطة ما خلق فئة جديدة من الأتباع غير المتأصلين في الديانة والمتشوفين للسلطة والملذات الدنيوية، هذا التحول أثار في بعض الجموع المسيحية حفيظة الزهد وأشعل فيهم حنين الشوق لحال أتباع الديانة في عصرها الرسولي الذي يمثل جيلها الذهبي، والذي أنتج أبرز قديسي المسيحية على الإطلاق.

وفي ضوء ما سبق نجد الروحانية الشرقية انقسمت في منتصف القرن الرابع الميلادي إلى نمطين رئيسين للنسك هما: حياة الاعتكاف والعزلة وتعرف بـ**"النمط التوحدي Hermitage"** وتنسب إلى القديس أنطونيوس الكبير ٣٥٦م، وحياه الشركة الديرية وتعرف بـ**"النمط الترهبي cenobitism"** وتنسب إلى القديس باخوميوس٣٤٦م.

ويظهر الفرق بين هذين النمطين من خلال استعراض نمط السلوك الروحي في كل منهما:

فأما **"التوحد"** فينسب كما ذكرنا إلى القديس أنطونيوس الكبير الذي اعتزل

---

(١) انظر: الدومينيكي، جوردان أومان (٢٠١٣)، تاريخ الروحانية المسيحية في التقليد الكاثوليكي، (ط١)، دار المشرق - بيروت (ص٤٩).

الحياة في سن العشرين من العمر بعد فاجعته بوفاة والده الذي كان شديد التعلق به حيث تذكر المصادر أنه تأمل حاله بعد هذه الفاجعة لما يقارب ستة أشهر ثم اعتزل بنفسه متوحدا في البرية عن مخالطة الناس لما يقارب السبعين سنة لم يتصل فيها بأحد سوى من كان يتردد عليه من التلاميذ والنساك، ويقوم هذا النمط من التوحد على مبدأ استثارة الكمال الروحي الداخلي للمتوحد من خلال العزلة والاعتكاف فلو عاش الفرد المسيحي جميع أيامه كما لو أنه سيموت في ذات ليلته فلن يكون للخطيئة مجال في نفسه، كما يزعم أتباع هذا النمط أنه يضمن لأتباعه الوعي بميول النفس عن طريق دفعها لحتمية مواجهة تسلط الشيطان عليها دون خشية التشاغل عنها بالعالم الخارجي.

وقد جذب هذا النمط أعدادا كبيرة من المتوحدين المتأثرين بأنطونيوس، ويعد القديس مقاريوس (٣٩٤م) أشهرهم حيث تذكر المصادر أنه توحد زمن حياته مع جماعة من النساك في واد النطرون جنوب صحراء صعيد مصر وفضلوا فيه العزلة التامة مع رفضهم الأعمال اليدوية والأنظمة الديرية خشيه التشاغل عن نذور الصلاة الدائمة التي قطعوها على أنفسهم، ويقدر عدد المتوحدين المسيحيين منتصف القرن الرابع الميلادي بما يزيد عن خمسة آلاف ناسك متوحد(١).

وفي المقابل نجد أن حياة الشركة الديرية المعروفة بالنمط **"الترهبي"** قد أخذت هي كذلك تزدهر حيث أقام القديس باخوميوس عام ٣١٨م مجتمعا

(١) انظر: الأنبا إبيفانيوس (٢٠١٤)، بستان الرهبان، دار مجلة مرقس (ط١) – القاهرة (ص٢١).

وديرا له في قرية "طبانيسة" في الضفة الشرقية لنهر النيل شمال مدينة طيبة[١] في أربعين راهبا يشتركون بينهم الصلوات الجماعية والعمل اليدوي في قوانين صارمة للرهبنة باتت تعرف فيما بعد بالقوانين الباخومية وهي مجموعة من التعاليم على هيئة ١٩٤ إرشادًا تجمع بين النظام الإداري والصيغة النسكية التي تقوم عليها حياة الرهبان وفي غضون سنوات قليلة كانت الحياة الديرية تنتشر في إقبال من النساك على هذا النمط حتى وصل الحال بأن ضم مجتمع الشركة الديرية لباخوميوس ما يقارب ٢٤ ديرا حوى كل دير منها على ما يربو من ٣٠٠ راهب يجتمعون في قداس عام يومي السبت والأحد من كل أسبوع فيما يرأس كل دير منها أباتي يقوم فيها بحفظ النظام[٢]، وقد ترجمها إلى العربية مؤخرًا د. مراد مجلع في مقال له منشور نقلًا عن النص اللاتيني المعروف بنسخة القديس جيروم ٤٢٠م[٣].

يعد القديس باسيليوس (٣٧٩م) وأخوه الأصغر غريغورس النيصي (٣٩٤م) أبرز من تأثر بهذا النمط الروحي وساهم في انتشاره من خلال ما قدماه من نصوص لاهوتية تعد نواة التكوين الرهباني بشقه النظري ويعد كتاب "الأخلاق Moralia"[٤] لباسيليوس أبرزها؛ حيث ضمنه ٨٠ قاعدة في الحياة

---

(١) طيبة : عاصمة تاريخية لفترات طويلة خلال عصور المملكة المصرية الوسطى، وتقع اليوم في مدينة الأقصر جنوب مصر.

(٢) انظر: إشعياء، ميخائيل (٢٠١١)، حياة الشركة الباخومية، مطبعة الدلتا، (ط٣) (ص٢٦،٢٨٥).

(٣) انظر: مقال (قوانين القديس باخوميوس https://abounamourad.net)

(٤) انظر: للمزيد حول تراثه في المخطوطات العربية، المخلصي، إلياس (١٩٨٩)، القديس =

الرهبانية في محاولة منه لإعادة إنتاج قوانين باخوميوس بطريقة تستند على الكتاب المقدس عبر ضم كل قاعدة منه إلى ما يدل عليها من النصوص الإنجيلية مع اختصارها وإعادة صياغتها بطابع أشمل، حتى غدا فيما بعد أحد أهم المشاركات اللاهوتية في هذا المجال، بل بات يعرف الكتاب بـ"إنجيل السلوك الرهباني"(١).

فيما تعد تآليف غريغورس النيصي مثالا مبكرا لدمج الفلسفة اليونانية بالصيغة اللاهوتية حيث أكثر غريغورس من استعمال التعبيرات الفلسفية في إيصال المفاهيم المرادة عنه وهو ما نجده في كتابه "الكمال في مجال الفضيلة" حيث حاول فيه مجاراة الأفكار الفلسفية المتعلقة بالكمال عبر إعادة تطويع مفهوم الكمال الفلسفي بشكل يتناسب مع حياه الفضيلة الرهبانية؛ وذلك أن الحياة الروحية في فكر أفلاطون تقوم على التطهير والسمو في تقدم متصاعد نحو اللامحدود حتى يعود الإنسان بنفسه إلى كمالها فوق المادي والمحسوس، وبالمثل نجد أن غريغورس يقتبس هذه الأفكار ويشير في كتابه إلى ضرورة عودة الروح إلى طبيعتها على الصورة الإلهية الأولى عبر النمو في الفضيلة المتصاعدة عن طريق الجمع بين ما يصطلح عليه **بـ"التحول والاستقرار"** فالروح في فكر غريغورس تشبه الخالق في عدم حدها بشيء إلا أن الخالق جل وعلا يتميز عنها بالثبات الدائم في الكمال وعدم التحول عنه فيما نجد أن الروح البشرية المخلوقة والمتصلة بالحرية دائمة التحول عن كمالها إلى الشرور المكدرة

=

باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البوليسية (ط١) – بيروت (ص٢٠٥).

(١) انظر: ملطي، تادرس يعقوب (٢٠١٢)، باسيليوس الكبير، الرهبنة والنسك، الناشر كنيسة مارجرجس (ط١)، الإسكندرية (ج٢ص٢٧).

لطبيعتها الفطرية، الأمر الذي يستحيل معه التوازن، فلا انسجام بين الثابت والمتحرك أو المتغير فيما يكون السبيل المقترح للجمع بين الاستقرار الإلهي والتحول الآدمي هو في إدمان الفضيلة المتصاعدة التي تضمن ديمومة الاستقرار في الكمال وعود النفس إلى التمثل بالخالق في حالة مستقرة من التفوق على الذات لا تنقطع "وليكون هذا التطلب الدائم لخير أوفى هو كمال الطبيعة البشرية"(١). وبالمجمل فإن هذا النمط من حياة الشركة الديرية هو الذي قدّر له النمو والانتشار في قادم القرون باتجاه الغرب المسيحي لما يعبّر عنه من امتداد طبيعي للحياة الكنسية الجامعة التي قامت عليها الديانة في عصورها الأولى، ولما يمثله من إنتاج لاهوتي محفوظ حملته الترجمات اللاتينية إلى القارة الأوروبية.

المطلب الثالث: روحانية الكنائس الغربية:

مع قلة المصادر الأصلية التي تصف الحالة النسكية الغربية منتصف القرن الرابع الميلادي، إلا أن مصادر أصول الترهب المسيحي تشير إلى انتشار نمط التوحد في بعض النساك الغربيين الذين فضلوا العزلة كخيار غير مستورد من التجربة الشرقية نظرا لتطابق الظروف الداعية لها بين الشرق والغرب، مع التأكيد على الاتصال المبكر والوثيق بين كنائس روما ومراكز الفكر المسيحي الشرقي في مصر وبلاد الشام، والذي تمخض عن حركة الترجمات المتأثرة بالتجربة الديرية للرهبان والتي سبقت الإشارة إليها.

ولعل أقدم هذه التجارب الغربية المتأثرة هي جماعة رهبان القديس

(١) انظر: النيصي، غريغورس (١٩٩٦)، الكمال في مجال الفضيلة، منشورات المكتبة البوليسية، (ط١)، بيروت (ص٢١).

"أوسابيوس" عام ٣٤٤م أسقف فرسلي[١]؛ حيث أسس بعد عودته من منفاه في فلسطين عام ٣٦٣م مجتمعا لشركة الديرية من الرهبان المنتمين للكنائس اللاتينية[٢]، إلا أن اثرها ظل محدودا ولم تلق ازدهارا كما لقيه مجتمع القديس "يوحنا كاسيان" ٣٣٥م الملقب بأبي الرهبانية الغربية، نشأ يوحنا في شبابه في دير بيت لحم وارتحل فيما لا يقل عن مرتين إلى مصر لزيارة الرهبان في أديرة وادي النطرون والإسقيط حيث مكث في إحداها سبع سنين ثم ارتحل إلى الجنوب الأوروبي عام ٤١٥م ليلتحق ببعض الأديرة العشوائية التي بدأت تنتشر وتنمو في فرنسا فلقي هناك حفاوة وتقديرا عظيمين لخبرته التي نقلها لهم في الترهب الشرقي واطلاعه على مختلف التجارب الديرية؛ حيث عُد مرجعا نظاميا في هذا الشأن، وأسس ديرا للرجال في مدينته مارسيليا، وآخر للنساء يحاكي فيه أنظمة الترهب الشرقية، إلا أن أعظم ما أعان على ازدهار هذه التجربة على وجه التعيين هو ما تميز به "يوحنا كاسيان" من تعاليم نقل خلالها خبرة الترهب النظامي باللغة اللاتينية فكتابه "المحاورات" من أوسع المراجع في هذا الشأن حيث نقل في مضمونه ٢٤ حوارا مطولا جمعه برهبان وادي النطرون المصري، وفيه وثق يوحنا أولى حواراته متسائلا عن الهدف والغاية من اختيار الناسك لمسار الرهبنة فيقول: "لكل من العلوم والفنون هدف أو علامة وغاية عليها يركز كل ساع عينيه باجتهاد، هكذا أيضا مهنتنا لها أيضا هدف وغاية من أجلها

(١) فرسلي: وهي اليوم مدينة فرساي التي تقع في الشمال الفرنسي.

(٢) انظر: الدومينيكي، جوردان أومان (٢٠١٣)، تاريخ الروحانية المسيحية في التقليد الكاثوليكي (ص٧٨).

نتحمل كل أنواع الكد، ليس فقط بدون تعب بل في الواقع بابتهاج"(١). ثم أتى على نقاش هذا التساؤل الذي انتهى به إلى نتيجة مفادها أنه لا بد لكل راهب من هدف وغاية؛ فالهدف هو جواب ما المراد الآن وفورا؟ وأما الغاية فهي جواب ما المراد لاحقا بعد الموت؟ وما مسار الرهبنة إلا سعي حثيث لتحقيق الأهداف لغاية واضحة معلومة في الكتاب المقدس وهي الملكوت السماوي، وأما الأهداف فهي ما تحار، وتختلف في تقديره العقول ثم ليجزم الجواب بأن أعظم الأهداف الموصلة لتلك الغاية إنما هي في "نقاء القلب" فهو الهدف الذي من أجله "نستخف بأقاربنا ووطننا وكرامتنا وتربتنا ومباهج هذا العالم وكل أنواع المسرات لكي ما نقتني نقاوة قلب دائمة"(٢).

وأن الراهب الذي يسعى للغاية بغير هدف راسخ في نقاوة القلب قد ينجح في احتقار ممتلكات عظيمة في هذا العالم ثم يثور لشيء تافه كالغيرة الشديدة على قلم أو ريشة أو كتاب، غير أن هذا الهدف لا بد دونه من مراحل يعرف بها الناسك أنه على مدارج صحيحة من هدف النقاء الموصوف، وهي في تقرير يوحنا "**ثلاث مراحل من جحد الذات ينبغي على كل واحد أن يتممها بأقصى غيرة**"(٣).

فالأولى: هي في جحد ونكران الجسد عن الانشغال بكل متع الدنيا ومحاسنها.

(١) انظر: كاسيان، يوحنا، ترجمة بولا ساويرس، المحاورات، منشورات مشروع الكنوز القبطية، (ط١)، القاهرة (ص٣٠).
(٢) انظر: المرجع السابق (ص٣٦).
(٣) انظر: المرجع السابق (ص١٤٧).

والثانية: هي في جحد كل العواطف والمرادات والغايات النفسية فلا حظ للجسد من النفس، ولا حظ للنفس من الجسد.

والثالثة: هي في جحد النظر عن كل حاضر ومرئي وصرف الهم في الغايات الآتية غير المرئية فقط.

ثم إن مع كل هذا وبعده لا بد للناسك من الانتباه والحذر لخطر الأهواء التي تحول دونه ودون نقائه وهي على وجه التعيين ثمانية:

"البطنة -الشبع- والزنى والجشع والغضب والاكتئاب والضجر والتفاخر -المجد الباطل- والكبرياء"(١).

فأما الستة الأولى فهي متلازمة ومتولدة عما قبلها ولا تنشأ إحداها إلا إذا قويت بما قبلها وأما (التفاخر والكبرياء) فغير متولدة من الجسد بل هي نتيجة لزهو النفس عند الخلاص من الآفات السابقة والسلامة منها؛ فهي تحيا في النفس بموت غيرها مما سبق كما تكلم "يوحنا" في مؤلفه عن الكمال المسيحي والمواهب والعفة وأنواع الرهبان وغيرها مما يوثق التراث الروحي والتجربة الشرقية المنقولة إلى الغرب بأدق التفاصيل المحفوظة التي مهدت الطريق أمام الروحانية الغربية في عصرها الوسيط.

---

(١) انظر: كاسيان، يوحنا، ترجمة بولا ساويرس، المحاورات، منشورات مشروع الكنوز القبطية (ص٢٣٦).

المبحث الثالث: بنية التعاليم الروحية

في بداية هذا المبحث لا بد لنا من الإشارة إلى أهمية تحليل البنية الاجتماعية والثقافية التي نشأت فيها التعاليم الروحية لبيان مدى صلة مضمون هذه التعاليم بالتقاليد والموروثات السائدة في ذلك العصر ؛ ما يسهم في بناء تصور صحيح حول الأسباب المجتمعية والثقافية الدافعة لقبول هذه التعاليم الروحية أو رفضها أو الغلبة عليها وتطبيعها بما يضمن مطاوعتها للبنيه المحلية(١).

المطلب الأول: البنية الاجتماعية والثقافية لتعاليم الروحية:

أولًا: البنية الاجتماعية:

تعد الطبقية أبرز سمات البنية الاجتماعية وهي آفة شملت القرن المسيحي الأول في مجتمعه الروماني؛ حيث تبدو مظاهرها في الثراء الفاحش لنبلاء الرومان أصحاب القصور الشاغلة بالعبيد والموائد العامرة بخيرات المآكل والمشارب والقيان والخطباء والشعراء في جو ترفي من البذخ تقابله أكواخ العامة

(١) انظر: عصمت، نصار (٢٠٠٩)، فلسفة اللاهوت المسيحي، (ط١)، دار الهداية، القاهرة (ص٢٦).

الشاغرة من الحياة الكريمة؛ حتى دفع الفقر رجالها إلى العمل بالسخرة ونسائها إلى البغاء طمعا في لقمة العيش أو هربًا بالنفس من دين المرابين عن الرق والأسر، وقد انعكست هذه الآفة بطبيعتها إلى داخل البيت الروماني، فلم يكن للتضامن والتراحم فضلًا عن التعاليم الروحية الفاضلة والقيم الأخلاقية نصيب من الاهتمام مع ما تصفه المصادر من خلاعة النساء وخيانة الآباء واستهتار الأبناء، و إهمال التعليم سوى مبادئ في القراءة والكتابة وبعض العلوم العسكرية التي سنتها الدولة لبعض الناشئة.

إلا أن هذه التعاليم الروحية والقيم الأخلاقية لم تكن منعدمة في المجتمع، بل كان لها نصيب ضئيل تمثله النصوص التوراتية كالوصايا العشر في أيدي اليهود المتواجدين في نطاق مدينة القدس وبعض ما تفرق من جماعاتهم في معابد سوريا وليبيا والإسكندرية، وبعض الحكيمات المصرية التي تحث على التراحم والتضامن وتحرم الزنى والتجارة بالأعراض، والتي كان لها أثر إصلاحي محدود في ذلك الواقع الطبقي الذي غاب فيه توسط الحال حتى أصبحت الحياة الكريمة فيه قرينة العرق والنسب والثروات، ما برر لأحد أهداف الخطاب الإنجيلي على لسان المسيح عليه السلام الداعي لإصلاح البنية الاجتماعية وتقويم الواقع الطبقي؛ حيث نجد جملة من التعاليم الروحية التي تنص على الصلة بين الظلم والجشع وبين الوحشة وظلمة القلب في وعيد موجه لطبقة الأغنياء، كما نجد في المقابل الصلة بين الفقر والزهد وبين الجزاء بالنعيم الأبدي في خطاب يلغي النظام الطبقي السائد ويعيد ضبط معيار الشرف نحو

الطاعة والقرب الإلهي دون ما كانت عليه في الأعراق والأنساب والثروة[١].

إلا أن هذه الصلة بين الخطاب الإنجيلي والواقع الاجتماعي غدت مثار الشك عند بعض المفكرين على نحو تعدى إطار موافقة التعاليم المسيحية لحاجات البنية الاجتماعية إلى القول بتأثر الصياغة الإنجيلية المنسوبة للمسيح عليه السلام بالظرف الاجتماعي، ما يخل بأمانة النقل ومصداقية التعاليم، ومن ذلك ما وقع في موعظة الجبل المنسوبة للمسيح عليه السلام من اضطراب في صياغة الرواية بين إنجيل "لوقا ومتى"؛ حيث جاءت الصياغة في إنجيل "لوقا" بلفظ فيه عزاء للفقراء والمساكين والمضطهدين مع إدانة ووعيد للأغنياء، وهي صياغة ناسبت آفة البنية الاجتماعية الطبقية كما نقرأ في: "طوبى لكم أيها المساكين فإن لكم ملكوت الله، طوبى لكم أيها الجائعون الآن فإنكم سوف تشبعون، طوبى لكم أيها الباكون الآن فإنكم سوف تضحكون"(٦: ٢٠،٢١).

"ولكن الويل لكم أنتم الأغنياء فإنكم قد نلتم عزاءكم، الويل لكم أيها المشبعون الآن فإنكم سوف تجوعون، الويل لكم أيها الضاحكون الآن فإنكم سوف تنوحون وتبكون" (٦: ٢٤،٢٥).

وفي المقابل نجد أن الموعظة في إنجيل "متى" تأتي بصيغة معنوية في تعبيرها عن الجوع والعطش والمسكنة وتنسبه للروح، بل ولا تأتي على ذكر الأغنياء أو إدانتهم، فضلًا عن وعيدهم بصيغة الويل أربع مرات في مجمل الموعظة عند

---

(١) انظر: ديورانت، ويل وايزل (٢٠١٠)، قصة الحضارة، (ط١)، دار الجيل، بيروت (ج٣،ص٢٢٦).

"لوقا"، مع قصر الاضطهاد في سبيل الحق دون ذكر الاضطهاد الطبقي في المجتمع كما نقرأ في متى: "طوبى للمساكين بالروح فإن لهم ملكوت السماوات، طوبى للحزانى فإنهم يتعزون، طوبى للودعاء فإنهم سيرثون الأرض، طوبى للجياع والعطاش إلى البر فإنهم سيشبعون، طوبى للرحماء فإنهم سيرحمون، طوبى للمضطهدين من أجل الحق فإن لهم ملكوت السماوات" (٥:٣،٤،٥،٦،٧،١٠).

وهو تعارض بين النصوص حاول المفكر الألماني " كارل كاوتسكي" حله بعزوه إلى تأثر رواية إنجيل "متى" بالظرف الاجتماعي في زمن متأخر من إعلان الدعوة المسيحية وتحول مجال الاضطهاد فيها من سمته الطبقية إلى الاضطهاد على الأساس الديني؛ حيث كان الفرد المسيحي أحوج ما يكون فيها إلى مثل هذا العزاء الروحي مع ما صاحب الدعوة المسيحية من انفراجة مادية باعتناق بعض الرومان للديانة المسيحية، ما دفعه في ختام هذا التوجيه أن يجهر بشكه نتيجة هذا الاضطراب حيث يقول: "إذا كانت هذه الطريقة التي عُملت بها الأحاديث التي كانت قد سجلت بالفعل فأي سبب يدعونا لأن نعتقد أن هذه الأحاديث التي زعم أن يسوع قد ألقاها قبل نصف قرن من تسجيلها قد ترددت بأمانة في الإنجيل"[(١)]. وهي نتيجة صحيحة عند الأخذ بالاعتبار أن كُتّاب الإنجيل لم يستندوا في صياغة التعاليم الروحية إلى نصوص مدونة.

وإنما اعتدوا بروايات شفهية خاضعة لتأثير البنية الاجتماعية ووجهات نظر

---

(١) انظر: كاوتسكي، كارل (٢٠١٤)، الدين والصراع الطبقي في المجتمع الشرقي، دار روافد للنشر، (ط١)، القاهرة (ص٢٩).

رواتها، ما سوغ للاضطراب بينها والتفاوت في مضمونها، وهي نتيجة يشهد لها تأثر بعض التعاليم الروحية بواقع البنية الاجتماعية المتغير بين منتصف القرن الأول ومطلع القرن الثاني والثالث الميلادي، عبر ما يسمى بالتآويل الرمزية للنصوص المقدسة، والتي كان من ألصقها بواقع البنية الاجتماعية مقال أكلمندس الإسكندري ت(٢٢٠م) في شرح خلاص الغني الوارد في مرقس (١٠:١٧، ٢٣) حيث وجه خطاب المسيح للغني بنبذ أمواله إذا ما أراد اللحاق به، بأنه ترك قلبي عن التمسك الداخلي بالثروة لا نبذها على الحقيقة، وهو تأويل مبكر لما يصفه القس د. فايز فارس بالتوفيق الحضاري فيقول: "يعتبر هذا المقال نموذجًا للمحاولات التوفيقية بين مطالب المسيح ومطالب الحضارة، فقد كان في الإسكندرية أغنياء كثر، وكان يزعجهم حديث الإنجيل ضد الأغنياء"(١). وهو مثال سافر لتحريفٍ معنوي للنص الذي جاء فيه لفظ "بع" صريحًا كما نقرأ: "فَنَظَرَ إِلَيْهِ يَسُوعُ وَأَحَبَّهُ، وَقَالَ لَهُ: «يُعْوِزُكَ شَيْءٌ وَاحِدٌ: اِذْهَبْ بِعْ كُلَّ مَا لَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتْبَعْنِي حَامِلاً الصَّلِيبَ»" (مرقس ١٠: ٢١) فأنى لمثل هذا التحريف أن يكون توفيقًا حضاريًّا!؟

ثانيًا: البنية الثقافية:

عند إمعان النظر في ثقافة المجتمع المسيحي الأول نجد أن تنوع المعبودات هي سمته السائدة كعبادة الأسلاف والكواكب والحيوانات وأسرة الإله "جوبيتر" وغيرها، وهذا يرجع إلى اختلاف الموروث الثقافي للشعوب المنزوية

---

(١) انظر: فايز، فارس (١٩٨٧)، علم الأخلاق المسيحية، (ص٢٧).

تحت ظل الدولة الرومانية، إلا أن الأباطرة الرومان نجحوا في تسخير البيئة الثقافية والمعتقدات الدينية لمصلحة أهدافهم السياسية؛ حيث اجتهد الكهنة الرومان في اختلاق ونسج الأساطير للجمع بين كل هذه المعبودات في سياق موحد، ولعل أدل هذه المقاربات على هذا الجمع الثقافي هي عقيدة الثالوث الروماني، وهم الآلهة المعبودة "سيرابيس وهاربوكراتس وإيزيس"؛ حيث إنها نتاج دمج للآلهة المصرية واليونانية والرومانية في وحدة ثقافية تخدم هدف التوسع الروماني(١).

إلا أن الديانة اليهودية التي تعد مهد التعاليم المسيحية الأولى كانت الأقل تأثرًا والأصعب اندماجًا مع الثقافة الرومانية لأسباب خارجية تعزى إلى ردود الفعل اتجاه القهر والاضطهاد الروماني ومحاولات عديدة لإبادة المقدسات، وأخرى داخلية ترجع إلى عقيدة الاستعلاء اليهودي على باقي ثقافات الأمم، مع الإيمان المشترك بين جميع الطوائف اليهودية بعقيدة المخلص المنتظر الواردة في نبوءة سفر "دانيال"؛ حيث سيأتي المسيح لتحرير اليهود والحكم بشريعة داود، ولهذا تعد المحافظة على الشريعة الأدبية والطقسية أمرًا بالغ الأهمية، وبناء عليه نجد أن طابع الوصايا اليهودية يتجلى بوضوح في تعاليم المسيح عليه السلام؛ لأنه بلا شك ربيب البيئة والثقافة اليهودية، وفي المقابل نجد أن صياغة تعاليم عصر الرسل يظهر فيها طابع التأثير الهيليني والفلسفي، الأمر الذي يعزى إلى دخول عامل الثقافات الأممية بعد إعلان" بولس" عدم الالتزام بشريعة اليهود الطقسية، وهو تأثر لم يكن له أن يتم مع ذات الالتزام بالبيئة

(١) انظر: عصمت نصار (٢٠٠٨)، فلسفة اللاهوت المسيحي، (ص٣٣).

اليهودية راعية الآمال الخلاصية والثقافة المستعلية، لذا كان حريًّا بمن أراد دراسة التعاليم الروحية المنسوبة إلى المسيح عليه السلام أن يمعن النظر في صلتها باليهودية كأحد الضوابط التي يُستدل بها على مواءمة هذه النسبة للبنية الثقافية التي نشأت عبرها هذه التعاليم؛ ذلك أن التعاليم الإنجيلية متكيفة مع كل عصر ولا تخضع لشكل دائم ومستقر من الروحانية، بل هي تطور ديناميكي لسياقات التاريخ بثقافاته المختلفة(١).

المطلب الثاني: دراسة في أبرز التعاليم الروحية:

تصنف المسيحية في علم الأديان من الديانات التاريخية؛ حيث إنها لم تبنَ على مبادئ عقلية مجردة، وإنما تولدت من واقع الحدث التاريخي المحسوس، وتعد بعثة عيسى المسيح عليه السلام وسيرته وتعاليمه أبرز هذه الوقائع في تاريخ نشأة الديانة.

غير أن هذه السيرة الواردة في الإنجيل مقتضبة، وهي على وجه الجزم لا توازي حجم الأثر الذي تعكسه في "اللاهوت الروحي" رغم أن الحياة الروحية تمحورت حول ذاته عليه السلام، بل إن التعاليم المنسوبة إليه في الإنجيل لم ترد على لسانه بصيغة نظامية مفصلة، إنما نجدها بُثت فيه بصياغات عفوية ومجملة ضمن مجموعة من النصوص العبادية.

ويبدو أن بعض محاولات حصر هذه التعاليم العفوية كان نتاج جمع كتبة الإنجيل في محاولة لصنع وحدة مقالية لبعض تعاليم المسيح عليه السلام كما هو واقع

(١) انظر: الدومينيكي، جوردان أومان (٢٠١٣)، تاريخ الروحانية المسيحية في التقليد الكاثوليكي، (ص٢٧).

"موعظة الجبل" فيما يرجع جهد رصفها بصيغة نظامية إلى زمن المؤسسات الكنسية اللاحقة، وفيما يلي نستعرض بعض أبرز ما ورد من هذه التعاليم في العهد الجديد:

أولًا: الوصايا العشر:

لا بد لنا إذا ما أردنا تقصي شيء من تاريخ التعاليم الروحية أن نعود إلى أساسها الكتابي المضمن في العهد القديم؛ حيث تُعد الوصايا العشر أبرز هذه التعاليم اليهودية التي ورثتها المسيحية في عهدها الجديد، وغدت حاضرة بشكل إيجابي في الخطاب الإنجيلي على لسان المسيح عليه السلام ومن بعده، رغم التبرم الكنسي الذي لا يرى في العهد القديم ما لا يعدو على رمزية تاريخية ومخاض للمشيئة الإلهية لولادة الديانة الجديدة؛ يقول الشماس اللاهوتي إسبيرو جبور في تأييد معاصر لمثل هذه النظرة:

"حل المسيحيون محل اليهود في كل الامتيازات الرمزية التي أعطاهم إياها العهد القديم وطرحوا خارجًا حتى يتوبوا ويؤمنوا بالمسيح، ولذلك لا وزن البتة لاستناد المتهودين الذين يعودون إلى اليهودية وإلى العهد القديم، ولا للأغبياء الذين يجهلون أن تلك الامتيازات رمزية لليهود وحقيقية للمسيحيين"(١).

وقد ضم العهد القديم من هذه الوصايا روايتين أحدهما في سفر الخروج (٢٠:٢،٣) والأخرى في سفر التثنية (٥:٦،٢١)، وعادة ما تكتب هذه الوصايا

(١) انظر: جبور، إسبيرو (١٩٩٦)، الله في اللاهوت المسيحي، (ط١)(ص١٣).

على هيئة لوحين متعامدين أو فقرتين تختص الأولى بشطر من الوصايا التي فيها جانب العلاقة مع الله وتختص الأخرى بالشطر الثاني من الوصايا التي فيها العلاقة مع الناس، كما تعد هذه الوصايا العشر جوهر الشريعة الأدبية لما يقابلها من الشرائع الطقسية وتحتل مكانة خاصة تتمثل في الاعتقاد اليهودي أنها بلاغ الرب إلى بني إسرائيل مباشرة بلا واسطة بعد أن تجلى لهم بذاته أمام الناظرين على جبل سيناء، وأنها خطت بإصبع الرب على ألواح من الحجارة وضعت في تابوت العهد كما أنها تنفرد بصيغتها الفريدة عن باقي الأسفار الموسوية الخمس بأمور منها بداية الوصايا بحرف الألف بصيغة "أنا" بينما تبدأ باقي الأسفار الخمس بحرف الباء "بريشيت" أي في البدء، وأنها لم تأت بأسلوب الأمر والإلزام (افعل) وإنما جاءت على صيغة النهي (لا تفعل)، وما زال اليهود يقدسونها ويحتفلون بمشهد نزولها على جبل سيناء من كل عام بما يسمى "عيد الأسابيع"(١). وعلى الرغم من اقتباس المسيحية لهذه الوصايا إلا أنها لم تعرف باصطلاح الوصايا العشر في العهد الجديد حيث نجدها في ثلاث مواطن منه؛ فأما الرواية الأولى والثانية ففي متى (١٩:١٦،٢١)، ومرقس (١٠:١٧،٢٢)، وأما الرواية الثالثة فوردت على صيغة حوار بين المسيح عليه السلام وأحد الرجال الأغنياء كما في إنجيل لوقا (١٨:١٨،٢٣).

كما يظهر أن المسيحية لم تقتبس كامل هذه الوصايا العشر وإنما اقتصرت على الجزء الأخير منها والذي فيه الوصية بالنهي عن القتل والزنى وشهادة

---

(١) انظر: الشامي، رشاد عبد الله (١٩٩٣)، الوصايا العشر في اليهودية، (ط١)، دار الزهراء للنشر، مصر (ص٤٣،٦٩).

الزور، ويلاحظ أن هذه الوصايا اختتمت باحترام الأب والأم واحترام القريب، كما في رواية الأناجيل الثلاثة، رغم ترتيبها في النصف الأول من الوصايا في رواية العهد القديم ما يشير إلى إدراج هاتين الوصيتين في آخر كلام المسيح عليه السلام في محاولة لتنقيح الوصايا بما يناسب رؤية العهد الجديد، وهذا في الحقيقة يرجع إلى أمرين اثنين هما:

أ- تميز هذا الجزء المقتبس من الوصايا تحديدا بالطابع العام والشامل حيث تعد كل وصية منه نواةً ومبدءًا للوصايا في مجالها؛ على اعتبار أن الوصية الخامسة التي فيها الأمر بإكرام الوالدين هي نواة الوصية بالإحسان للأقارب عموما، كما تعد الوصية السادسة التي فيها النهي عن إزهاق الروح نواة ما يعرف بحقوق الإنسان، ولهذا عمدة الرؤية المسيحية لدى كتبة الإنجيل إلى خلق وحدة مقالية لمثل هذه الوصايا ولو عن طريق إلحاق أول هذه الوصايا بآخرها في مقابل إسقاط بعض الوصايا المحدودة في تعاليمها على بني إسرائيل، كما هو حال الوصية الرابعة باحترام يوم السبت الذي هو شريعة يهودية خاصة لا تناسب الدعوة الأممية للمسيحية.

ب- ما أشار إليه القسم الأول من الألواح في الوصية الأولى والثانية من الأمر بتوحيد الألوهية والنهي عن صناعة الصور والتماثيل بقصد العبادة مما لا تتفق معه الرؤية المسيحية القائمة على التثليث وتصوير التماثيل للمسيح والقديسين في الكنائس، ما أوجب مثل هذا التنقيح اللفظي للوصايا بما يتفق مع صياغة عقائد العهد الجديد، فأين هؤلاء من قول المسيح: "لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ" (متى ٥: ١٧). بل إن هذا التنقيح لم تسلم منه حتى رواية العهد القديم من خلال الشروحات الكنسية

على هذه الوصايا التي تُفسر بما يوافق العقيدة المسيحية؛ فنجد أن البابا "شنودة الثالث" يوجه معنى الوصية الأولى والتي فيها النهي عن الشرك فيقول: "إن جميع الشهوات التي تسود على الإنسان هي آلهة أخرى". ويقول: "عبادة الذات أخطر الأصنام جميعها"(١) في توجيه معنوي لمعنى شرك الألوهية الذي نهت عنه الوصية دون الإشارة لحقيقة هذا التوحيد الذي هو إفراد العبادة وتوحيد القصد للخالق جل وعلا دون شريك ولا نظير، والقيام بموجبه من نبذ الصور والأصنام، فضلًا عن زعم التثليث ونسبة المولود له جل وعلا، ورغم هذه المحاولات الحثيثة لتنقيح هذه الوصايا باللفظ تارة وبالمعنى تارة أخرى نجد أن القرآن الكريم أشار إلى تقرير مجمل هذه الوصايا في أكثر من آية ما يدل أنها من الإسلام العام الذي تعبد الله به جميع الأنبياء والأمم في كل زمان ومكان، كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [البقرة: ٨٣].

---

(١) انظر: البابا، شنودة الثالث (١٩٨٩)، الوصايا العشر، دار الأنبا رويس بالعباسية، مصر، (ط٧) (ص٢٣،٢٤).

ثانيًا: موعظة الجبل:

تعد الموعظة التي ألقاها المسيح عليه السلام على الجبل أحد أبرز النصوص الروحية إن لم تكن أبرزها في الموروث الكتابي المحفوظ لدى الطوائف المسيحية الثلاث، وقد نالت هذه الموعظة حظًا وافرًا من العناية والاهتمام بدراسة ألفاظها ومضامينها الروحية في الوسط اللاهوتي والجانب الفكري الناقد داخل الديانة وخارجها على حد سواء.

وقد سطرت كتابات اللاهوتيين بعض الأوصاف والنتائج التي يمكن معها الجزم بالمكانة الرفيعة لهذه الموعظة كأحد ركائز التعاليم الروحية للديانة المسيحية، ومن ذلك ما أورده اللاهوتي البريطاني الشهير د. جون ستوت في مؤلف له علق فيه على موعظة الجبل حيث ذكر أنه انتقى من خلال المئات من الشروح على هذه الموعظة خمسة وعشرين شرحًا عكف على بحثها ودراستها ليصل بعدها إلى نتائج بحثية مهمة أذكر منها ما يتعلق بمكانة هذه الموعظة وهي:

"أ- تعد الموعظة خلاصة متكاملة لتعاليم المسيح عليه السلام.

ب- الموعظة على الجبل هي أفضل ما قدمه المسيح عليه السلام من تعاليم"(١).

ولم تكن هذه النتيجة رأيًا ينفرد به البروتستانتي "جون ستوت" فقط بل قد وقفت على ما يؤيدها من كلام سائر الطوائف المسيحية؛ فهذا بابا الكنيسة

---

(١) انظر: ستوت، جون (٢٠٠٦)، الكتاب المقدس يتحدث اليوم، الموعظة على الجبل، (ط٢)، دار النشر الأسقفية، القاهرة (ص٩،١٧).

الأرثوذكسية شنودة الثالث يصف هذه الموعظة بأنها "دستور المسيحية وأسمى تعاليم عرفتها البشرية"(١). ومن قبله القديس الكاثوليكي "أوغسطينوس" يصف الموعظة بأنها "الطريقة الفضلى للحياة المسيحية"(٢).

كما درجت المصادر المسيحية المبكرة على ذات الاهتمام عبر المقارنة بين رمزية الموعظة على الجبل للعهد الجديد في مقابل رمزية الوصايا العشر للعهد القديم كأحد أبرز مظاهر الاهتمام والتعظيم لتعاليم هذه الموعظة في الموروث المسيحي، وهي مقاربة قديمة ترجع إلى العصر الرسولي ابتدأها "بولس الطرطوسي" في رسالته إلى العبرانيين (١٢:١٨،٢٤)، وتبعه عليها اللاهوتيون من بعده في محاولة لإثراء هذه المقاربة بمزيد من القيمة الروحية.

فنجد المصادر الإنجيلية تشير إلى أن الموعظة قيلت على سفح جبل يقع على الشاطئ الشمالي لبحيرة طبرية والذي عرف فيما بعد بجبل التطويبات في مقاربة رمزية مشابهة لتلقي موسى عليه السلام للوصايا العشر على جبل الطور رغم ورود ذات الموعظة في رواية إنجيل لوقا فيما يعرف بموعظة السهل -كما سيأتي- حيث لا رمزية للجبل فيها ما يرجح رأي من يذهب إلى أن الصعود على الجبل وفق ما جاء في رواية متى يرجع إلى إرادة المسيح العفوية للبروز وسط الحشود المكتظة لسماع حديثه دون قصد منه لاختيار الجبل أو تعيينه عند أدائه الموعظة، بالإضافة إلى زعم تطابق مجمل مواعظ المسيح عليه السلام في إنجيل متى

---

(١) انظر: البابا، شنودة الثالث (١٩٩٦)، تأملات في العظة على الجبل، (ط٣)، مطبعة الأنبا رويس بالعباسية، مصر، (ص٧).

(٢) انظر: أوغسطينوس (٢٠١٧)، عظة الجبل، (ط١)، دار المشرق، بيروت، (ص١١).

مع أسفار موسى الخمسة من خلال تقسيمها في إنجيل متى إلى خمسة أجزاء ينتهي كل منها بلفظ **"ولما أكمل يسوع"** (٢٨:٧) (١:١١) (٥٣:١٣) (١:١٩) (١:٢٦) في مقاربة متكلفة يراد منها فرض أسفار موازية خاصة بالمسيح عليه السلام في العهد الجديد.

وبالنظر في مجمل الأناجيل الأربعة نجد أن هذه الموعظة لم ترد إلا في رواية إنجيلين منها؛ حيث تعرف في "متى" (١:٥) بموعظة الجبل نسبة لصعود المسيح عليه السلام محدثًا الناس على جبل، فيما تعرف رواية "لوقا" بموعظة السهل (١٧:٦) حيث جاء في نص روايتها: "ثم نزل معهم ووقف في مكان سهل هو وجماعة من تلاميذه وجمهور كبير من الشعب". ويظهر أن هناك فرقًا واضحًا بين الروايتين حيث تعد رواية إنجيل "لوقا" المكونة من ٣٠ آية مقتضبة جدا عند مقارنتها برواية إنجيل "متى" المكونة من ١٠٧ آيات، وهو اضطراب يوحي بأن الروايتين ليستا عظة واحدة لولا ما بينهما من التطابق في المقدمة بصيغة التطويب والخاتمة المميزة بمثال البنائين، وما تخلل الموعظة من القاعدة الشهيرة في المحبة والوصية بتحويل الخد للضارب في كلتا الروايتين، وقد حاول بعض النقاد من القساوسة الاعتذار لمثل هذا الاضطراب عبر مجموعة من التوجيهات التي لم تزده إلا اتساعًا وشدة، ولعل أبرزها هو القول بعدم نصية صياغة الموعظة ما يعني أنها مجموعة من أقوال المسيح المتفرقة التي لا تجمعها مناسبة خاصة؛ حيث إنها ليست موعظة بالمعنى الحرفي بل مجتمع لمواعظ متفرقة من كلام المسيح عليه السلام(١). غير أن مثل هذا التوجيه

(١) انظر: ستوت، جون (٢٠٠٦)، الموعظة على الجبل، (ص٢٣).

للاضطراب الحاصل بين الروايتين يفتح على أصحابه باب الطعن في أصالة ما نسب إلى المسيح عليه السلام فيها؛ حيث إنه من الجائز أن تكون هذه الموعظة خضعت لتصورات شخصية للكاتب عن الله والغرض من رسالة المسيح عليه السلام، ما يجعلها موعظة كنسية لا إلاهية، خصوصًا مع عدم وجود بعض تعاليم هذه الموعظة في نصوص باقي الأناجيل كـ"مرقس" الذي يعد أقدم الأناجيل كتابة في عُرف جملة من نقاد المسيحية، وقد حاول د. "جون ستوت" الخروج من مأزق هذا التوجيه عبر التبرير بأن عدم نصية الصياغة هو لازم عملية الترجمة من اللغة الآرامية التي نطق بها المسيح عليه السلام إلى اللغة اليونانية التي دونت بها الأناجيل، وأن الاختلاف في الطول والقصر راجع إلى أن "لوقا" قدم مختصرًا لرواية "متى" أو أن متى زاد على ما في لوقا ما يثبت أصالة هذه الموعظة، وهو أمر لا مبرر له من الترجمة؛ حيث إن الاختلاف بين الروايتين حاصل في مضمون التعاليم لا بين المفردات والمترادفات، ثم إن القول باختصار أحد الروايتين للأخرى لا ينفي عنها عامل الرؤية الشخصية؛ حيث إن الاختصار يلزم منه التنقيح والترتيب وهو أمر تقديري ذوقي، كما يلزم من الزيادة مثل ذلك التقدير المناسب الراجع إلى التصور اللاهوتي الشخصي، كما أن توافق رواية "لوقا" و"متى" على قدر من الموعظة لا يعد إثباتًا لأصل مناسبة هذه الموعظة؛ حيث إن "لوقا" بلا شك ناقل للموعظة، إذ إنه لم يشهدها، فهو لم يدرك المسيح عليه السلام، فإما أنه ناقل عن "متى" أو عن مجهول غيره. وقد أدرك د."جون ستوت" أن مثل هذا الاضطراب أدى لمأزق لا يمكن الإجابة عنه إلا بعزوه إلى

معجزة تدبير الروح القدس لنصوص الإنجيل حيث يقول: "إلا أننا في النهاية نؤكد أن الروح القدس وجه للاختيار والترتيب الذي في الموعظة"[(١)].

تعد الفقرة الأولى من الموعظة التي جاءت بصيغة التطويبات التسع أبرز أجزاء الموعظة؛ إذ إنها تعبر عن العلاقة الروحية للمسيحي بالله والناس من خلال ثمانية صفات هي: **"مسكنة الروح والحزن والجوع والعطش للبر والوداعة والرحمة ونقاء القلب وصناعة السلام والاضطهاد من أجل الحق".** وقد اشتهر في المصادر المسيحية تقسيم ينحى بهذه الصفات إلى شقين حيث تعبر الأربعة الأولى عن الصفات الروحية للعلاقة بالله، وتحدد الأربعة الباقية الواجبات الروحية تجاه الآخرين فيما تضمن باقي أجزاء الموعظة الوسائل العملية الموصلة لهذه الصفات الروحية المنشودة[(٢)]. ويظهر للقارئ مدى الاهتمام بهذه الصفات من خلال لفظ التطويب الدال على السعادة والبركة، والذي تقدم هذه الصفات في تعبير يُشعر بكفالة البشرى لهم بالسعادة في عاجل الدنيا قبل الآخرة، وقبل مناقشة هذه الصفات وبيان بعض المآخذ عليها لا بد لنا من بيان معناها على الوجه الذي فسره بها قساوسة المسيحية حتى لا نتهم بحمل الصفات على غير المعنى المراد منها.

فأما **المسكنة** فالأصل فيها المسكنة المادية التي هي العوز والحاجة للمال، وأما مسكنة الروح فهي حسب تعبير البابا شنودة الثالث "الخلاص من الخطيئة

---

(١) انظر: ستوت، جون (٢٠٠٦)، الموعظة على الجبل (ص٢٤).

(٢) انظر: فؤاد نجيب (٢٠١٥)، وثيقة الحرية، الموعظة على الجبل، (ط١)، جذور للنشر، القاهرة (ص٢٩).

الأولى لآدم والشيطان التي كانت عبر الكبرياء، وهذا لا يتم إلا بالانسحاق والتواضع التام، فمسكين الروح هو الإنسان المنسحق أمام نفسه في الداخل ومنسحق أمام الله ومنسحق أمام الناس، وحتى أمام الشيطان تراه منسحقا"(١).

وأما **الحزانى** فهم الذين يتصفون بحزن التقوى الناتج عن الاعتراف بالمسكنة الروحية، حيث لا يكفي الاعتراف بل لا بد معه من الانكسار والندم، أو كما يعبر" تيودور بركوني": "الذين لا يتوقون إلى خيرات هذا العالم وشهواته والذين هم في كآبة لأنهم يخافون بأن يكون لديهم الزائد"(٢).

وأما **الودعاء** فهم من يجمعون صفة الوداعة وهي ترجمة للكلمة اليونانية (Praus) وهي كما يعبر عنها د. جون ستوت: "التواضع المشوب باللطف والرفق والصبر، وقد وعدهم المسيح بأن لهم ملكوت الأرض في النهاية"(٣). ويقول البابا شنودة الثالث: "الوديع هو الهادئ في طبعه حتى إنه كثيرا ما يتنازل عن حقوقه بدون حزن ولا يشاء مطلقا أن يُحزن أحدا من الناس بسبب حقوقه فسلامه مع الناس عنده أهم من التمسك بحقوقه"(٤).

وأما **الجوع والعطش للبر** أي إلى البر الداخلي في القلب والفكر والدوافع(٥).

---

(١) انظر: البابا، شنودة الثالث (١٩٩٦)، تأملات في العظة على الجبل، (ص١٩).

(٢) انظر: بركوني، تيودور (٢٠١٣)، إنجيل متى في التراث السرياني، (ط١)، الرابطة الكتابية، لبنان (ص١٤٧).

(٣) انظر: ستوت، جون (٢٠٠٦)، الموعظة على الجبل، (ص٤٦).

(٤) انظر: البابا، شنودة الثالث (١٩٩٦)، تأملات في العظة على الجبل، (ص٤٤).

(٥) انظر: ستوت، جون (٢٠٠٦)، الموعظة على الجبل، (ص٤٨).

وأما **الرحماء** فهي ترجمة لكلمة (**Praus**) اليونانية وتحمل معنى الشفقة كما أنها في تعبير د. جون ستوت ترتبط في الغالب بتقديم المعونة[١].

وأما **أنقياء القلب** فكلمة القلب توضح نوع النقاء الذي كان المسيح يطلبه، وهو في تعبير البابا شنودة: "المُخْلص تمامًا صاحب الحياة الخاصة الشفافة أمام الله والشفافة أمام الناس"[٢].

وأما **صانعو السلام** فهم العاملون في الدعوة للمسيح ونشر تعاليمه، وفي تعبير البابا شنودة الثالث: "يصنعون سلاما داخل قلوبهم هم ومع الله والناس وسلامًا بين الروح والجسد فلا يصارع أحدهما الآخر"[٣].

وأما **المضطهدون من أجل الحق** "فهم الذين يعانون العنت والضيق من أعداء الله وخصوم الحق والخير من أجل مبادئ الإنجيل"[٤].

وعلى ضوء ما تقدم ومن خلال استعراض هذه الصفات الثمانية يظهر للقارئ ولأول وهلة أنها تصف الجانب الروحي الباطن للإنسان فجميع هذه الصفات تعد برًّا معنويًّا؛ فالمسكنة والوداعة والحزن والجوع والعطش للبر جميعها تتعلق بالحالة الروحية الباطنة للإنسان، كما أن الصفات الأربعة الباقية التي تصف طبيعة العلاقة بالآخر هي كذلك من ذات النوع، وهي صفات مثالية

---

(١) انظر: المرجع السابق (ص٥١).
(٢) انظر: البابا، شنودة الثالث (١٩٩٦)، تأملات في العظة على الجبل، (ص٧٣).
(٣) انظر: البابا، شنودة الثالث (١٩٩٦)، تأملات في العظة على الجبل (ص٨١).
(٤) انظر: الأنبا غريغورس (١٩٩٧)، دراسة في الموعظة على الجبل، (ط١)، أسقفية الدراسات العليا اللاهوتية القبطية، مصر (ص١١).

وسامية، لكنها في ذات الوقت مترابطة لا يمكن أن يتخلف بعضها عن بعض؛ حيث إن كل صفة منها لازم ما قبلها، فلا يمكن تصور أن يجتمع في الإنسان حزن يحمله على الانكسار والندم من غير مسكنة روحية تقدمت هذا الحزن، أو أن يتصف بوداعة تدعوه للتنازل عن حقوقه وعدم طلب شيء لنفسه من غير حزن حمله على الإعراض عن خيرات هذا العالم، كما لا يمكن لهذا الوديع الحزين المعرض عن حقوقه ألا يجوع ويعطش للبر الذي ضحى في سبيله، ثم كيف له أن يصنع سلاما بين الناس من غير رحمة تحمله على بث هذا السلام فيهم، وبالضرورة فإنه لن يقبل اضطهاد الناس وأذاهم له من غير قصاص إلا بنقاء قلبه. فجميع هذه الصفات متلازمة. وهي مقدمات أو نتائج لما قبلها، وهي وإن كانت متفاوتة في قدر تمكنها من النفس بين شخص وآخر إلا أنها مترابطة، ويبدو أن هذا الترابط الوثيق بين هذه الصفات هو ما يطرح أحد أبرز الاعتراضات على هذه الموعظة وهو مدى إمكان تطبيق هذه العظة على الصعيد العملي وفي المقاييس الواقعية، وهذا أن الموعظة لا تصف ثمانية أصناف متفرقة من الناس وإنما تصف شخصا واحدًا اجتمعت فيه هذه الصفات الثمانية فهو يحاكي بها شخص المسيح الذي اجتمعت فيه هذه الخصال كافة، فهل هذا التقرير والمثالية تصلح كرؤيةً عامةً ودستورًا روحيًّا للأمة المسيحية، رغم ما يقرره الكتاب المقدس من سقوط الطبيعة البشرية وغلبة الشهوة عليها، وأن الأصل فيها الخطيئة القهرية الكامنة في الروح أم هو نوع من الخطاب النظري ومحض آمال روحية صيغت لتشبع طموح الساعين إلى الكمال؟ حيث لا حد لمقاماته كما يقرر البابا شنودة الثالث فيقول: "الحياه الروحية الحقيقية هي رحلة نحو الكمال، والكمال لا تبدو له حدود، لذلك فهي سعي دائم وشوق

دائم إلى غير المحدود إلى المطلق بلا توقف"(١).

ويمكن إجمال القول حول هذا التساؤل بأن شُراح الموعظة لم تخلُ آراؤهم نحو هذه الصفات من التحفظ والاحتراز المقيد لغايات هذه الصفات أو التي تعيد تعريف الجمهور المعني بتعاليمه، ويبدو أن أشهر هذه التحفظات هو ما قرره المصلح البروتستانتي "مارتن لوثر" في شرحه للموعظة والذي قرر فيه أن صعوبة هذه الصفات ومثاليتها هي أحد أبرز الغايات النهائية المنشودة من هذه الموعظة، والتي يدرك من خلالها المسيحي أنه لا يمكن الوصول لهذا المستوى من البر والكمال الداخلي بالجهد والرياضة البشرية، وإنما تدرك مثل تلك الصفات بالهبات الإلهية، فهي ناموس مثالي مستحيل الغرض منه إدانة النفس والقناعة بالحاجة لهبة المسيح، كما يتحفظ د. جون ستوت هو الآخر على وصف هذه الصفات بالأخلاق المسيحية اللفظ الذي يشعر بشمول الخطاب فيها للعامة، ويفضل وصفها بالوصايا المسيحية، ويفترض أن هذه الصفات جاءت بشارة لمن يصفهم بقوله: "فالموعظة على الجبل موجهة إلى أناس سبق أن نالوا الغفران، ووجدوا اللؤلؤة الكثيرة الثمن، وقبلوا الدعوة لحضور العرس، وبإيمانهم بالمسيح أصبحوا خليقة جديدة ينتمون إلى مملكة الله الجديدة، ومن هذا المفهوم نرى أن الموعظة على الجبل ليست ناموسًا بل إنجيلا، إن الفرق بين الاثنين واضح وينبغي أن نتجنب استخدام أقوال مثل الأخلاق المسيحية"(٢).

---

(١) انظر: البابا، شنودة الثالث (١٩٩٦)، تأملات في العظة على الجبل، (ص٥٦).

(٢) انظر: ستوت، جون (٢٠٠٦)، الموعظة على الجبل، (ص٤٠).

وبالرغم من تأكيد كتابات بعض الأرثوذكس على مبدأ شمول هذه الصفات لكافة الأفراد معتبرين أنها أول دعوة للجميع بلا استثناء أو تمييز بهدف بناء النفس الإنسانية، إلا أنها وبالمثل لم تخلُ من التحفظ كسابقاتها؛ حيث تنص على أن المستوى الروحي لهذه الصفات لا يعد هدفًا يمكن السعي لبلوغه، وإنما هي دعوة للجهاد كوسيلة روحية نحو القداسة والاتحاد بالله، وهنا يعبر القس فؤاد نجيب عن هذه الأفكار فيقول: "المستوى الروحي في الوصية الجديدة ليس هدفا نسعى لبلوغه، ولا نستطيع أن نبلغه بقدرتنا، لكنه يحمل علامات ترشد طريق جهادنا وتصحح مسيرتنا الروحية نحو الاتحاد بالله"(١).

وعليه: فإن في مجموع هذه التحفظات ما يقر بصعوبة هذه الصفات ويعترف بمثاليتها غير الواقعية بل المستحيلة كهدف ممكن في حق عامة الناس على أقل تقدير، كما يرفض أصحابها نسبتها المطلقة إلى سيد المسيح بلا تحفظ، فأنى لمثل هذه الموعظة أن تكون دستورا أو منهج حياة فضلًا على أن تكون وسيلة للتقارب بين المسيحية وبين الديانة الإسلامية التي جاءت بصريح التخفيف ورفع الحرج؟ قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٨].

كما جاءت بالحث على الزينة والأخذ بالطيبات من الرزق من غير غلو ولا سرف:

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِىَ

---

(٢) انظر: فؤاد نجيب (٢٠١٥)، وثيقة الحرية الموعظة على الجبل، (ص٣٢).

لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

فشتان بين التعاليم التي تدعو إلى الزهد في الحقوق والكآبة باسم البر والانسحاق أمام الشيطان!! وبين التعاليم التي تدعو إلى التوسط في المباح بلا غلو ومراعاة الفطرة، يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"إن قوما وقع لهم أن المراد رياضة النفوس لتخلص من أكدارها المردية، فلما راضوها مدة ورأوا تعذر الصفاء قالوا: مَا لنا نتعب أنفسنا فِي أمر لا يحصل لبشر؟! فتركوا العمل وكشف هذا التلبيس أنهم ظنوا أن المراد قمع مَا فِي البواطن من الصفات البشرية مثل قمع الشهوة والغضب وغير ذلك، وليس هذا مراد الشرع ولا يتصور إزالة مَا فِي الطبع بالرياضة، وإنما خلقت الشهوات لفائدة؛ إذ لولا شهوة الطعام هلك الإنسان، ولولا شهوة النكاح انقطع النسل، ولولا الغضب لم يدفع الإنسان عَنْ نفسه مَا يؤذيه، وكذلك حب المال مركوز فِي الطباع لأنه يوصل إِلَى الشهوات، وإنما المراد من الرياضة كف النفس عما يؤذي من جميع ذلك، وردها إِلَى الاعتدال فيه، وَقَدْ مدح الله من نهي النفس عَنِ الهوى، وإنما تنتهي عما تطلبه ولو كان طلبه قد زال عَنْ طبعها مَا احتاج الإنسان إِلَى نهيها، وَقَدْ قَالَ الله: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤] وما قال: والفاقدين الغيظ، والكظم رد الغيظ، فمدح من رد النفس عَنِ العمل بمقتضى هيجان الغيظ، فمن ادعى أن الرياضة تغير الطباع ادعى المحال"(١).

---

(١) انظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن (٢٠٠٤)، تلبيس إبليس، (ط١)، دار الكتاب الحديث، القاهرة (ص٣٤٤).

وهو تمام الموازنة بين الفطرة في نوازعها الإنسانية وبين رياضة النفس في مدارج الكمالات.

الفصل الثاني

الاتجاهات الروحية المسيحية

وآثارها الفكرية المعاصرة

المبحث الأول: الاتجاهات الروحية المسيحية

المطلب الأول: الاتجاه البيلاجي:

ينسب الاتجاه البيلاجي أو البيلاجيوسي إلى بيلاجيوس ٤٤٠م وهو لقب مشتق من الترجمة اليونانية لكلمة "**pelage**" أي رجل البحر، لراهب بريطاني يسمى "**مورغان**" من أعيان القرن الخامس الميلادي اشتهر بالزهد والرحلة في الدعوة والتبشير بين الشرق والغرب؛ حيث زار بلاد حوض البحر المتوسط وروما، وفيها نقلت عنه بعض الأفكار اللاهوتية المتعلقة بطبيعة النفس البشرية و أثر الخطيئة عليها ودور النعمة الإلهية في خلاصها، وقد أدت هذه الأفكار إلى جدل واسع في العالم المسيحي ما دعى لعقد المجمع المسيحي في قرطاجة عام ٤١٨م والذي تقرر فيه نبذ آرائه والحكم عليه بالحرمان الكنسي(١).

عندما وصل بيلاجيوس إلى روما صُدم مما رآه من تغير سلوكي في واقع الحياه الأخلاقية المسيحية، ويبدو أن أعظم ما تأثر به هو ما وقف عليه من أقوال بعض الآثمين التي بررت لاهوتيا لأفعالهم الخاطئة بحجة عجز أرواحهم أمام قهر سلطان الخطيئة الأصلية وفقرها غير الإرادي للهداية والنعمة الإلهية التي

(١) انظر: ج. ويلتر (٢٠٠٧)، الهرطقة في المسيحية، (ط١)، دار الفارابي، بيروت (ص٩٩).

هي سبب الخيرات والعمل الصالح، لذا فإن كان الرب قَّدر علينا الخطيئة واستأثر بالنعمة فما هو نفع الاجتهاد والعمل في طلب غير المقدور؟ ونحوها من العبارات التي توحي بالجبر الإلهي وقلة الحيلة الآدمية والتي وجد فيها بيلاجيوس تساهلا مع الضعف وهربًا من المسؤولية الأخلاقية، ما أثار حفيظة تساؤلات عميقة لديه أدت لمراجعات في مسائل وراثة الخطيئة الأصلية وأثرها على الحرية الروحية ومدى إمكان الاستعداد الشخصي لطلب الكمال الأخلاقي، ويمكن إجمال ما توصل إليه بيلاجيوس من آراء حول هذه المسائل التي شكلت بداية هذا الفرع من الاتجاه الروحي في أمور:

١-أن الأصل في طبيعة الروح الأولى لآدم عليه السلام هو الفناء، فهي لم تخلق للبقاء أو الأبدية، وأن موتها خارج عن علة الخطيئة الأصلية فمصيرها الموت بها أو من غيرها.

٢-إنكار عقيدة وراثة الخطيئة فهي لم تضر إلا بآدم ولم يرثها نسله من بعده.

٣-أن الأطفال الصغار يولدون بروح نقية سالمة من الخطايا ولا أثر للمعمودية في تطهير أرواحهم وهو لازم ما قبله من رأي.

٤-أن النعمة الإلهية عون خارجي عن طبيعة النفس تساند قواها الطبيعية ولا أثر لها في حريه الإرادة والقدرة على الاختيار بل مرد ذلك إلى القوى والمواهب المسؤولة التي خلقها الرب في الإنسان والتي ينسب إليها الفعل أو الترك.

٥-الدعوة لالتزام التفسير الحرفي لنصوص الكتاب المقدس والبُعد عن الرمزية لما توحي به من استخفاف بالقدرة الإنسانية عن مجاراة حرفية التعاليم الروحية المعلنة في الكتاب المقدس(١).

وقد كان رد الكنيسة في روما صارمًا في رفض هذه الآراء البيلاجية لما تعبر عنه من استخفاف بسر المعمودية ودور النعمة الإلهية الأساسي في خلاص البشرية عن طريق التبرير بصلب المسيح، وقد عبّرت عن هذا الرفض والامتعاض من خلال تسع قوانين كنسية جاءت في قرار مجمع قرطاجة عام ٤١٨م، فيما ساندت السلطة الإمبراطورية هذا القرار من خلال الحكم على البلاجيين بالنفي ومصادرة الأملاك، وتبعتها بعض الردود الفردية كما هو محفوظ في رد القديس أوغسطينوس أسقف هيبو على بيلاجيوس في رسالة له حول حقيقة النعمة الإلهية.

إلا أن جميع ما سبق لم يكن له إلا أثر محدود في منع انتشار هذه الآراء؛ فقد استمرت البلاجية بالانتشار تحت قيادة بعض المتأثرين بها في فرنسا وبريطانيا بصورة ربما هي أقل حدة مما عُرف عنها زمن بيلاجيوس.

فيما بات يعرف لاحقا **بأنصاف البلاجيين،** وهي وصمة عُرف بها من توسط في رأيه بين مذهب أوغسطينوس في حتمية النعمة الإلهية للخلاص مع التأكيد على حرية الإرادة المستقلة لفعل الطاعة بما لا يقترن بالنعمة الإلهية، إلا أن هذه الآراء هي الأخرى تسببت بعدد من المجامع الكنسية في أرليس عام ٤٧٣م

---

(١) انظر: القس أباكير، عبد المسيح، بدعة بيلاجيوس، مشروع الكنوز القبطية، مصر (ص١٦،١٥).

وأورانج عام ٥٢٩م والتي لم تخلص إلى معالجة هذا الاتجاه على نحو جذري[١]، فيما يؤكد د. جوناثان هيل أثر هذا الاتجاه الممتد إلى وقتنا الحاضر فيقول: "اليوم يعتبر بيلاجيوس نموذجًا يتم التعاطف معه وخاصة من قبل اللاهوتيين البريطانيين الذين يريدون بوضوح الدفاع عن زميلهم الأقدم شهرة، ويُعتقد في بعض الأحيان أن بيلاجيوس كان نوع الليبرالية المبكرة، ذا فكرة متفائلة نحو البشرية دفعته إلى معارضة فكرة أوغسطينوس الكئيبة عن الخطيئة الأصلية"[٢].

المطلب الثاني: الاتجاهات الخلاصية:

ناقشت المسيحية كباقي الديانات السماوية مفهوم الإيمان الذي تكمن حوله حدود الانتماء الديني في أصوله وفروعه اللاهوتية فيما تعد مسألة الخلاص الأخروي أحد أبرز القضايا المحورية التي جسدت استحقاقاته في تاريخ الجدل المسيحي.

حيث اعتبرت الكنيسة الكاثوليكية ذات الطيف الأكبر في الديانة أنه لا خلاص للبشر حول العالم إلا من خلال أعمال الإيمان المسيحي تحت ما ترعاه من أسرار كنسية بسلطانها البابوي، وأكدت بإصرار على هذا المبدأ من خلال المجامع الكنسية المتعاقبة والتعاليم النظامية المنشورة؛ إذ إنه لا مجال

---

(١) انظر: الدومينيكي، جوردان أومان (٢٠١٣)، تاريخ الروحانية المسيحية في التقليد الكاثوليكي، (ص٨٣،٨٥).

(٢) انظر: هيل، جوناثان (٢٠١٢)، تاريخ الفكر المسيحي، (ط١) دار الكلمة للنشر، الإسكندرية (ص٨٣).

للشراكة في الحياه الأبدية بين الكاثوليك وغيرهم دون الالتحاق بعماد الكنيسة الكاثوليكي وتعاليمه.

إلا أن تطور مجموعة من العوامل حدت بالرأي اللاهوتي عموما والكاثوليكي خصوصا في اتجاه مغاير لموقفها في حصرية الخلاص الأخروي والتي كان في أبرزها عامل التحول الداخلي الذي جد بعد ازدهار حركه الملاحة واكتشاف عوالم جديدة حوت أمما وشعوبا بعيدة عن منال جهود التبشير، ولم يسبق لها قط أن سمعت بالمسيح أو رسالة الإنجيل، ما خلق حالة من الشعور بعدم مركزية الخلاص والفداء المسيحي بالنسبة لتلك الشعوب البشرية، واستدعى تساؤلات ملحة حول محدودية دعوة المسيح ومدى فاعلية السلطة الكنسية على هذه الشعوب، بالإضافة لعوامل خارجية تمثلت في حركه النقد التنويرية الداعمة لقداسة العقل البشري وقدرته على فتح باب السؤال المطلق، ومنها مفهوم الخلاص خارج حدود الكنيسة في وقت ضعف فيه الإقبال الكنسي وتنامت فيه الالتزامات الوطنية، مع اكتساب بعض مقولات السياسة كالحرية والقانون سمة حاكمة على نشاط الكنيسة الفكري بعد أن كان الرأي اللاهوتي مصدر التشريع في الدولة، ما ساهم في ولادة بعض المفاهيم الجديدة كالمساواة بين أبناء المجتمع وفقًا لمعايير الإنسانية الخالصة بعد قرون من الطبقية والتمييز الديني والعنصري، وأصبح التعامل مع التعددية الدينية أحد مطالب المساواة بين البشر لبناء علاقات إيجابية تمهد لحوار مشترك بين المذاهب والأديان عمومًا[1].

---

(١) انظر: الدوسري، عايض بن سعد (٢٠٢٢)، الخلاص خارج الكنيسة الكاثوليكية، (ط١)، دار =

وقد تنوعت استجابة الطوائف المسيحية لهذه العوامل نظرًا لمدى تأثر بنية القرار فيها، ولا شك أن حجم الانتشار الكاثوليكي فرض عليها النصيب الأكبر من الاستجابة، والذي تمثل في المجمع الفاتيكاني الثاني المنعقد بين عام ١٩٦٣- ١٩٦٥م؛ حيث أقرت فيه الطائفة رؤيتها الجديدة لخلاص أكثر شمولًا لغير الكاثوليك عما كانت عليه في رؤيتها التاريخية الحاصرة، ما آذن بانقسام داخلي بين رافض لقرارات المجمع ولما يعد انحرافا سافرا عن التقاليد الراسخة وبين مؤيد له على اعتبار أنها امتداد لذات الرؤية التاريخية أو مسار إيجابي لمراجعات لاهوتية مثمرة ترعاها الكنيسة الأم، يقول القس ألويزيوس بييرس: "أجج هذا المجمع نار نقد السلطة الكنسية كما تسبب في انفجار قنبلة النقد الذاتي داخل الكنيسة الكاثوليكية مقوضًا ادعاءاتها الإرسالية"(١). ورغم ما تولد عن هذا المجمع من انقسام إلا أنه لم يكن كافيًا في إرضاء الاتجاهات الحداثية في الداخل المسيحي، بل لم يكن إلا بداية لموقف أكثر تعددية مما يتبناه أصحاب النظرة المتفائلة بقرار المجمع الثاني، وقد عبر أصحاب هذه الاتجاهات عن اعتراضهم على قرارات المجمع من خلال نقد ما جاء في وثيقته تحت ما يسمى اشتراطات الخلاص لغير المؤمنين الكاثوليك والتي رتبت له شروطًا وهي(٢):

١- طلب الحق بشوق جاد إلى الهداية والنعمة.

= تكوين للدراسات، الدمام (ص٣٥).

(١) انظر: ألويزيوس، بييريس (٢٠٠١)، لاهوت التحرير الآسيوي، (ط١)، دار المشرق، بيروت (ص١١٤).

(٢) انظر: الدوسري، عايض بن سعد (٢٠٢٢)، الخلاص خارج الكنيسة الكاثوليكية، (ص٦٩).

٢- الجهل بالدين الحق الذي تمثله الكنيسة الكاثوليكية.

٣- أن هؤلاء يحصلون على إمكان الخلاص أو ما يسمى تدبير الخلاص لا الخلاص بذاته.

٤- أن طلب الحق والبحث الحثيث عن الاستقامة غير كاف في نيل الخلاص وإنما هو سبيل رجاء النعمة الإلهية نحو الهداية للإيمان الكاثوليكي الحق.

٥- أن الخلاص بذاته ينحصر في ايمان الكنيسة الكاثوليكية ومن يرفض تعاليمها عن علم ودراية فلا خلاص له.

ويلاحظ في هذه الشروط عدم تقديم تفصيل وبيان شاف لمفهوم خطة الخلاص بالإضافة لعدم شمولها لفئة كبيرة من المسيحيين الذين يُصرون على ممارسة الإيمان على غير الطريقة الكاثوليكية؛ حيث جاء فيها ما يوجب عدم شمولهم بالخلاص وبالضرورة عدم شمول من تعمد ترك تعاليم الطائفة الكاثوليكية انتقالا لغيرها، أو كان على غير الإيمان المسيحي ابتداءً فأين هو الشمول في حصر الخطة الخلاصية بفئة جاهلة لم يبلغها الإنجيل حتى ماتت مع ضرورة اعتبار شوقها الجاد في البحث عنه؟!

ويمكن إجمال ما تفرع عن حركة الجدل اللاهوتي حول مسألة الخلاص بعد هذه القرارات في ثلاثة اتجاهات رئيسة هي:

❍ أولًا: التعددية:

نسبة لرأيهم في أن العديد من الأديان لها سمة الخلاص وأنه بطبيعته متعدد

السبل بتعدد المعتقدات رغم ما بين الأديان من تناقضات واختلافات جوهرية كبرى.

وينطلق هذا الاتجاه في رؤيته من تعريفه لمفهوم الأديان الخلاصية إذ إنها "الأديان التي تتضمن تغييرا فعليا ينقل الإنسان من التأصل في الأنانية إلى التأصل في الحق أو الله"(١).

فيما يقوم عماد ما يستند إليه هذا الاتجاه على ثلاث حجج:

أ- الحجة التاريخية التي تفيد بأن الظروف الثقافية والتاريخية المختلفة تحول دون الجزم بالآراء الدينية المطلقة.

ب- الحجة الأخلاقية التي تفترض بأن القول بالتعدد هو السبيل لتكريس العدل والقيم في عالم تشبَّع بالإقصاء الديني.

ج- الحجة المعرفية القائمة على أن التجربة الدينية تفوق الوصف ما يلزم استحالة كون رأي أي دين مطلقًا.

ويمكن استعراض مجمل هذه الحجج عند النظر في آراء وكتابات أحد أبرز أعلام هذا الاتجاه وهو اللاهوتي د. جون هيك(٢) الذي ينص صراحة على معظم ما تفرعت عنه هذه الحجج والتي ابتدأها بالتمهيد لرأيه الرافض لإمكان تسوية الخلافات اللاهوتية وفقا لمعيار الوحي أو النص المقدس دون اعتبار

---

(١) انظر: جون هيك وآخرون، تحقيق: دينيس ل، ترجمة: ديما معلم (٢٠١٥)، الخلاص اتجاهات أربعة في عالم تعددي، (ط١) دار المعارف الحكمية، بيروت (ص٣٤).

(٢) مؤلف بريطاني وأستاذ فلسفة الأديان في جامعة برمنجهام ت٢٠١٢م.

مؤثري عنصر التجربة البشرية المسيحية الممتدة ألفي عام وعنصر الظرف التاريخي الذي نشأت من خلاله هذه الآراء، فعلى حد تعبيره: "ما من حاجة إلى تبني كل من المعتقدات غير العملية والفرضيات الثقافية الخاصة بأشخاص عاشوا في الماضي البعيد وفي عوالم مختلفة كليا عن عالمنا"(١).

بل والذهاب لأبعد من ذلك بتفسير ظاهرة الوحي السماوي بأنها حالة من الوعي نتيجة لانفتاح استثنائي على الحضرة الإلهية، والتي غالبا ما تأتي ضمن التراث المسيحي عند حدث معين في حياة المرء الخاصة، كما تجلت في أحداث من العهد القديم على أشكال من العون أو العقاب، ويمثل لذلك بالنبي إرميا الذي رأى في هجوم قبائل الكلدانية على القدس أحد وسائل العقاب الإلهي على بني إسرائيل، وهو ما لا يدل بالضرورة على تفسير لاهوتي قائم على تدبر الواقعة، بل هو على حد تعبيره: "الطريقة التي اختبر بها إرميا واقع الحدث آنذاك"(٢) فيما يُحتمل أن يكون للتاريخ الإنساني العام نظرة سياسية أو اقتصادية مغايرة للحدث.

ومن وجهة نظر تعددية يرى جون هيك أن الرأي الكامن في الكتاب المقدس عنصر محدود بالتجربة الدينية، ولا ينفي الرؤية العلمانية للحدث بشقه المادي؛ فهي لا تمثل تفسيرا لاهوتيا للنص، وإنما وعي وتفسير لرؤية دينية لا تنافي التفسير المادي، بل هو عنصر للتفسير في واقع التجربة يضيف إلى الرؤية الكلية، وهو بهذا يستند إلى أحد الحجج السابقة ذات النزعة التاريخية

(١) انظر: جون هيك وآخرون، تحقيق: دينيس ل، ترجمة: ديما معلم (ص٥٨).
(٢) انظر: المرجع السابق (ص٥٩).

لتحجيم الرأي اللاهوتي في حدود الوعي البشري.

كما نجده يستدل على صحة نظرته التعددية بالحجة الأخلاقية التي تفترض على حد تعبيره: "استحالته إثبات تفوق أحد الأديان على غيرها من الناحية الأخلاقية"(١) وأنها بالمقابل

(المسيحية، الإسلام، اليهودية، البوذية، الطاوية، الهندوسية، الزردشتية) ترشد لذات الثمرة العملية للقيم الأساسية الداعية للخير والإحسان، وهو معيار عملي أخلاقي وليس لاهوتيا، ولهذا ما دام أن النتيجة واحدة فلا يهم الاختلاف في المقدمات!!

وهي نتيجة جدلية يمكن على فرض التسليم بصحتها أن نسأل هيك عن سبب دعوته لاعتقاده التعددي مطالبًا غيره من باقي الديانات ترك ما ألفوه من إيمان يمكن أن يؤدي بالنهاية لذات الثمرة الأخلاقية التعددية؟ إلا أنه سيجيب بلا شك بما سيضفيه التعدد من قيمة الاجتماع والوحدة التي يفتقر إليها عالمنا اليوم، وهو زعم مبدأه التضحية، إذ إن الاتجاه التعددي يعد في نظر الاتجاهات المحافظة أحد مظاهر اتساع الجدل وانقسام الرأي المسيحي يقول د. دوغلاس غايفيت: "يتوقع التعدديون من الذين يؤيدون توجهًا مسيحيًّا مختلفًا أن يضحوا بما يعتقدون أنه وعي أصيل لكي يكونوا أقرب إلى التعددية"(٢).

وبالمجمل يرى جون هيك أن الظروف الثقافية والتاريخية أفرزت وسائل

---

(١) انظر: المرجع السابق (ص٧٠).

(٢) انظر: جون هيك وآخرون، تحقيق: دينيس ل، ترجمة: ديما معلم (ص١٢٨).

خلاصية بطرق ومفاهيم مختلفة عن "المطلق" وهو الاسم الذي اختاره هيك للتعبير عن "الله" والذي يزعم أن جميع الأديان والطوائف تعبد أحد تجلياته التي تظهر للبشرية ولو كانت حجرًا أو شجرًا أو بقرًا، بل وعبادة كل معنوي تميل إليه النفس حيث يقول: "يمكن لمن يريد التنبه من الغفلة التي تحجبه عمن هو سلام وغبطة ولطف ورحمة للعالمين أن يطلق أيّاً من هذه الأسماء على الحق المطلق"(١).

وهو بهذا ينطلق في تقريره السابق من نزعته المثالية للطبيعة المعرفية وفق ما يسمى بنظرية المعطيات الحسية التي تبدأ في معرفتها من الوعي الداخلي للإنسان مع التشكيك في العالم الخارجي حيث لا ترى في العالم الحقيقي إلا ما تدرك من الأشياء المادية إدراكًا مباشرًا وذلك من خلال ما يسمى بالتمثيلات أو الانطباعات الحسية كاللون والطعم والرائحة(٢)، وقد حاول هيك إعمال هذه النظرية في مجال البحث اللاهوتي لتقرير: "أن الحق المطلق الكامل لا يصفه ولا يعبر عنه أي شكل من أشكال الفكر البشري"(٣). وأن غاية ما في الحقائق البشرية التي تعبر عنها الأديان هي ما توصلت إليه من معطيات أدركت بها هذه الظاهرة مستدلا ببعض ما ورد في موروثه المسيحي عن سلفه توما الإكويني حيث يقول: "المعروف يحصل في العارف بحسب حال العارف". وبعض

(١) انظر: المرجع السابق (ص٨٤).
(٢) انظر: أحمد الكرساوي (٢٠١٨)، مدخل إلى نظرية المعرفة، (ط٢)، دار تكوين للدراسات، الدمام (ص١٧٥).
(٣) انظر: جون هيك وآخرون، تحقيق: دينيس ل، ترجمة: ديما معلم (٢٠١٥)، الخلاص اتجاهات أربعة في عالم متعدد، (ص٨٣).

الأفكار الكاثوليكية المنقولة عن اللاهوتي نيقولا القوسي التي تفرق بين الذات الإلهية الموصوفة في الكتاب المقدس بأنها ثلاثة وواحد في آن وبين الذات الإلهية السرمدية أو الأزلية التي هي أكبر من أن توصف وأسمى من أن تسمى كما يزعم(١).

وهي ذات المغالطة المعرفية عند إيمانويل كانط(٢) التي تميز بين الشيء بذاته وبين الإدراك البشري للأشياء بوصفها ظواهر والتي يستنتج منها هيك حجته المعرفية في استحالة إدراك الحق المطلق الذي يمكن أن يفاضل بين الأديان: "فالنظم والمفاهيم البشرية لا تستطيع أن تحيط بالحق المطلق ولا ينسجم الحق مع تصنيفات البشر إلا من خلال أفكارهم وتجاربهم"(٣).

ويبدو أن مما أغفله هيك عند استيراده لحجة كانط المثالية في ظواهر الأشياء هو تحقيق موقف كانط (اللاأدري) في هذا البحث؛ فلو سلمنا القول بأن الأشياء كما تبدو لنا هي ظواهر، وأن ما وراءها هو الحقيقة بذاتها، إلا أنها تظل مجهولة، وموقف كانط منها هو (اللاأدري) ولهذا لا تذكر تلك المثالية شيئًا في وصفه أو الحكم عليه، ولذا كان ينبغي على هيك إن كان لا أدريًّا أن يمتنع عن إصدار أي حكم إيجابي حول طبيعة الأشياء في ذاتها ولا يجزم القول بأنها لا تنسجم إلا من خلال ظواهرها؛ ذلك أن الاحتمال المنطقي يوجب فيها عدة

---

(١) انظر: المرجع السابق (ص٨٢).
(٢) فيلسوف ومؤلف ألماني من القرن الثامن عشر ت١٨٠٤م، من أشهر مؤلفاته: نقد العقل الخالص، الدين في حدود مجرد العقل.
(٣) انظر: المرجع السابق (ص٨٣).

فرضيات منها احتمال كونها مماثلة لظواهرها، وهو الاحتمال الأقرب للمنطق، لا سيما أن طرق الإدراك البشري هي الأكمل في سلم الكائنات لما تظافر فيها من الحواس والملكة النفسية والذهنية، فلو قارنته بمدركات ما حوله من الحيوانات التي تفوقه في حدة الحواس كالقطط والكلاب لوجدته يفوقها بلا شك، بدليل أنه نجح في إخضاع الطبيعة والتعامل معها، بالإضافة لفقدان هذه النظرية لضابط الأساس المنهجي، يقول د. فؤاد زكريا:

"إن الجزم مقدما ودون وجود أي أساس من التجربة بأن هناك مقياسًا معينًا هو هذا (الشيء في ذاته) يُتخذ أساسًا للحكم على كل طريقة أخرى للإدراك بأنها إدراك لظواهر دون أن يكون هناك أي أساس تجريبي لمثل هذا المقياس المزعوم فخطأ منهجي أساسي"(١).

ثانيًا: الشمولية:

نسبة لرأيهم بأن الخلاص متعلق بشخص المسيح عليه السلام، إلا أنه يحتمل أن يشمل غير المؤمنين من باقي الثقافات لما للرحمة والعطف من غلبة في التعاليم المقدسة مع التأكيد على أن الأديان الأخرى لا بد أن تؤدي في النهاية إلى تقرير الإنجيل والإيمان بالمسيح.

وهو احتراز يعبر عن اختصاص الشمول المسيحي الذي يختلف عن الشمول المطلق الذي لا يعترف بأن لعتقادين التفوق على الآخر بطبيعته

---

(١) انظر: فؤاد زكريا (٢٠١٧)، نظرية المعرفة والموقف الطبيعي للإنسان، (ط١)، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة (ص٦٧).

فالشمول المسيحي يؤكد على تفوق الإيمان الكاثوليكي على غيره من الطوائف والأديان، ويرى في شخص المسيح عليه السلام معيارًا لخلاصه.

فيما يستند هذا الاتجاه في رؤيته على عقيدة الجمع بين (الطبيعة والنعمة) التي ترفض مبدأ الفصل بين النعمة الإلهية العامة والنعمة الأخروية الخاصة الموصلة للخلاص، أو ما قد يعرف بالفعل التكويني والفعل الخلاصي، فالنعمة التي تمثلت بهبة الحياة فشملت جميع البشر يمكن أن تكون فاعلة بذات الشمول في مبدأ الخلاص، وذلك من خلال الانفتاح على فعل الروح القدس ودوره الخفي في استخدام مظاهر الخير في الأديان المخالفة كوسيلة تؤدي إلى ثمرة الإيمان بالمسيح في النهاية[١]، وهو احتمال تمهيدي يقارب فهم بولس لوظيفة ناموس العهد القديم قبل قيام المسيح (رومية ٣: ٢١)، إلا أنه ظل احتمالًا لاهوتيًا لم تكن الكنيسة منفتحة لمناقشته مع الأديان الأخرى قبل المجمع الفاتيكاني الثاني؛ يقول د. كلارك بينوك[٢]: "إن النموذج الشمولي طرح جديد من بعض النواحي صيغ ليمثل فهمًا مختلفًا للاهوت التاريخي بأسلوب يأمل أنصاره أن يكون أمينًا ومناسبا للمرحلة الزمنية الراهنة"[٣]، ونظرًا لحداثة هذا الموقف ولما سبق من أنه استجابة لمجموع العوامل الداخلية والخارجية نجد أن الداخل الكاثوليكي انقسم في موقفه الاحتمالي هذا إلى نموذجين هما:

---

(١) انظر: اليسوعي، فاضل سيداروس (٢٠١٣)، علم لاهوت الأديان، (ط١)، دار المشرق، بيروت (ص٩٣).

(٢) مؤلف مسيحي وأستاذ اللاهوت في جامعة ماكماستر الكندية، ت٢٠١٠م.

(٣) انظر: جون هيك وآخرون (٢٠١٥)، الخلاص المسيحي اتجاهات أربعة في عالم تعددي (ص١٥١).

أ- الشمولية المحتاطة:

وهو النموذج الذي يتماشى مع ما جاء في وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني إلا أنه يحتاط لموقفه الشمولي بمحترز الوجوب والإمكان؛ حيث لا يجزم هذا النموذج بمنزلة الأديان الأخرى كوسائل خلاصية بذاتها، وإنما يعبر عنها كأحد الوسائل والخيارات الخلاصية الممكنة مع التأكيد على أنها ليست الوحيدة أو الواجبة في إيصال الخلاص الإلهي، شأنها شأن الفلك السماوي والمظاهر الطبيعية التي تدل على الخالق، كما يحتاط أيضًا لموقفه من التعاليم العبادية والأخلاقية لدى بعض الأديان؛ حيث يقرر أن احتمال شمولها بالخلاص لا يعني تقرير ما قد يقع فيها من ظلم غير عادل.

ب- الشمولية غير المحتاطة:

وهي التي تجزم بلا ريب بقدرة الأديان الخلاصية وأنها أديان مشروعة كوسائل لوصول النعمة الإلهية ببركة الروح القدس وهي بهذا تذهب إلى أبعد من الاحتمال الفاتيكاني(١).

وبالمجمل تستمد الشمولية جاذبيتها من حس الرجاء الذي تولده فكرة إمكان خلاص عموم البشرية وهي نظرة متفائلة غير معتادة في الطرح الكنسي الذي لطالما أكد على دور الخطيئة المتأصلة في تاريخ البشر، كما تعفي الأوساط اللاهوتية من تساؤلات حرجة قد توحي بالمحاباة الإلهية على نحو علة عدم خلاص جموع بشرية لم تصلهم الدعوة المسيحية بلا ذنب.

---

(١) انظر: المرجع السابق (ص١٥٤).

بل هي على استعداد واقعي للاعتراف بقداسة نماذج غير مسيحية في الأديان الأخرى ما يجعلها الموقف الوسط بين التعددية المطلقة والخصوص التقييدي كما سيأتي.

ثالثًا: الخصوصية:

نسبة لرأيهم بأن الخلاص مخصوص بالدين المسيحي وتعاليمه دون ما سواه، وأن خلاص من لم تبلغه دعوة الإنجيل ممكن عبر المشيئة الإلهية وبوسائلها الغيبية حصرًا فيما يرى النموذج التقييدي منه عدم إمكانه التزامًا بظاهر بعض النصوص المقدسة (١يوحنا ٥:١٢).

هذا ويستند أصحاب الاتجاه الخصوصي في قولهم بحصرية الخلاص المسيحي إلى التفريق اللاهوتي البروتستانتي بين أنواع المعرفة الإلهية حيث إنها تنقسم إلى:

أ- معرفة الله الخالق: والذي يمكن التعرف عليه بمظاهر الكون الطبيعية أو عبر الوحي والنص المقدس فهي معرفة عامة لا تختص بأحد بما في ذلك أتباع الأديان عمومًا.

ب- معرفة الله المخلص: وهي معرفة مسيحية مخصوصة لا تكون إلا عبر المسيح كما تجلى في العهد الجديد.

وبالتالي نجد أن هذا الاتجاه يؤكد على أن الدين المسيحي شاهد على مفهوم محدود للخلاص لا يمكن دمجه بأي مفهوم مشابه في الأديان الأخرى كما لا يمكن لمعرفة الخالق العامة التي يدل عليها العقل والفكر أن تؤدي إلى ذات الخلاص المسيحي، إذ إنها لا تعبر عن وصف الوحي الدقيق له كما لا تعبر

المعرفة العامة بالضرورة عن المفهوم اللاهوتي للإله في الديانة المسيحية الذي تصفه النصوص بالثالوث ذي الأقانيم المتحدة والمنفردة في آن، والذي لا يمكن لمجرد العقل الاستدلال على تفاصيله.

وعليه: فلا يمكن استخدام مصطلح الإله بطريقة مجملة تفترض أن جميع الأديان لها المعبود ذاته، يقول د. دوغلاس غايفيت: "معنى أن الله يمكن أن يُعرف في الأديان الأخرى لا يعني أن فهم هذه الأديان لله منسجم تمامًا مع المسيحية، ولا يعني أن المفاهيم المسيحية عن الله قائمة في الأديان الأخرى، إنما يعني هذا القول اشتمال الأديان كلها على بعض القواسم المشتركة، ولا يعني تطابق الأديان أو توافقها الدائم حتى"(١).

ويبدو أن هذا المعنى هو أحد أبرز ما يعيبه هذا الاتجاه على التعددية؛ حيث إن خلطها لمصطلح الخلاص المسيحي وغيره من المصطلحات في الأديان الأخرى مبناه على الترجمة الحرفية التي لا تراعي الفروق الدلالية في كل لغة (اليونانية، العربية، العبرية، السنسكريتية، الصينية) ما يوحي بتقارب ديني لا أساس له من الصحة، وهي عقلية تفرض حشر الأديان إجمالًا في قالب واحد، ما ينم عن عدم احترام وتقليل من شأن المفاهيم الاصطلاحية الخاصة بكل ديانة بافتراض أن الجميع يقولون الشيء ذاته حكمًا، وهو واقع ما يدعو إليه الحوار التعددي الذي يُغفل أن الحوار ينطوي على الاحترام لكنه لا يستوجب الاتفاق بالضرورة: "فلا يمكن أن تقدم الأديان كلها الخلاص نفسه إلا

---

(١) انظر: جون هيك وآخرون، تحقيق: دينيس ل، ترجمة: ديما معلم (ص٢٥٨).

باستخدام أشد الوسائل تطرفًا، أما احترام كيانات أديان العالم المختلفة يتطلب تخصيص مفهوم الخلاص"(١). ووفقًا لهذا الطرح تقرر الخصوصية أن (الإيمان المسيحي هو من يقدم الخلاص المسيحي) بما له من أسس ووسائل وأهداف، ولا يعني هذا بالضرورة تفوق هذا الخلاص على ما يقابله من مصطلحات في الأديان الأخرى، إلا أن المفارقة هنا هي في موقفها الجازم بإمكان خلاص غير المسيحيين الذين لا يشتركون معها في مفهوم الألوهية والخلاص المحدود سابقًا، ما يوحي بذات الرجاء الشمولي المتفائل، إلا أنها لا تضع معيارًا واضحًا يقوم عليه هذا الخلاص لا كما تبدو عليه حجتهم الدلالية في رد التعدد؛ إذ قد يكون أي فرد مسيحيًّا في السماء رغم كونه ملحدًا في الأرض لأنه بكل بساطة لم يختر المسيح إلا أن المسيح اختاره، وهو اضطراب نجا النموذج التقييدي من حرجه بالتزامه مبدأ الخصوص المطلق.

---

(١) انظر: المرجع السابق (ص٢٧٤).

المبحث الثاني: آثارها الفكرية المعاصرة

المطلب الأول: حركة التحرر المسيحية (لاهوت التحرير):

تعد حركة التحرر المسيحية أو ما بات يعرف بـ"لاهوت التحرير Liberation Theology" أحد أبرز الأفكار المسيحية الناشئة في سبعينات القرن العشرين والممتدة بما تفرع عنها من نماذج لاهوتية تنوعت في عصرنا الحاضر، حيث اختمرت أفكارها في كنف الظرف الاجتماعي والاقتصادي لقارة أمريكا الجنوبية؛ بعد معاناة فيها لشعوب اللاتينية الفقيرة والمقهورة من ويلات الأنظمة الديكتاتورية ووصاية الاستعمار الغربي، فجاء لاهوت التحرير ليتحدث عن مدى صلة المفهوم الديني بحل هذه القضايا ومسؤوليته تجاه المقهورين من البشر.

إلا أن التساؤل الأكثر استحقاقًا هو فيما ينقمه التحرر على النظام الكنسي الكاثوليكي بلاهوته العميق والمتجذر في القارة حتى يلجئ للانفصال عن مضامين خطابه الاجتماعي ونظرته الروحية، أو بعبارة أخرى ما هي الدوافع التي ساهمت في رد الفعل التحرري من وجهة نظرٍ لاهوتية؟

في الحقيقة تنوعت المصادر المسيحية في صياغة الأسباب الداخلية المواتية التي كانت الدافع الحقيقي وراء الانفصال، **إلا أن مجموعها يشير إلى عاملين**

رئيسين هما:

١- الموقف السلبي للكنيسة الكاثوليكية من واقع الفقر والقهر الذي تعيشه تلك الشعوب حيث بدا كلاهوت استعماري لم يتكلف اتخاذ موقف جاد تجاه الظرف الاقتصادي، ولم يعط للفقراء مكانة خاصة في خطابه ولا بين صفوفه، وبدت فيه المؤسسة الدينية لا تختلف عن باقي مؤسسات الدولة غير ملتزمة بتصويب الوضع رغم أنها تفوقهم ثراءً.

يقول القس جوستافيو الدومينيكاني: "لطالما كان اللاهوت الذي تمارسه الكنيسة في أمريكا اللاتينية نتاجًا لتقاليد ثقافية فرضها الاستعمار، وبات ترديدًا سطحيًّا للاهوت تأسس على ثقافة وحضارة القارة الأوروبية دون الاهتمام بالسياق الفكري والتاريخي له، ونتيجة لذلك أصبح اللاهوت مجموعة من المقترحات المجردة"[1].

وهو ذات السبب الذي أشار إليه د. جوناثان هيل مستخدمًا تعبير "تسلط اللاهوت الغربي على واقع التجربة اللاتينية"[2]، إلا أنه سبب لا يتناول نقدًا ذاتيا لروحانية الكنائس الغربية، وإنما ينتقد الصورة الجامدة لتأويله في واقع التجربة العملية، وهو الشعور المرحلي الذي سبق بداية الانفصال اللاهوتي بين الجنوب والغرب والذي اجترأ فيما بعد.

(١) انظر: الدومينيكاني، جوستافو (٢٠١٦)، لاهوت التحرير التاريخ والسياسة، (ط١)، دار الإكويني، القاهرة (ص٣٣).

(٢) انظر: هيل، جوناثان (٢٠١٢)، تاريخ الفكر المسيحي، (ط١) دار الكلمة للنشر، الإسكندرية (ص٣٢٥).

٢- مثالية اللاهوت الغربي من جهة فرط انشغاله بالجانب الطقسي للعبادة والاهتمام بروحانية ما يُعرف بتقرير مفهوم الإيمان الصحيح على حساب الممارسة العملية، ما ساهم في وصفه بالنظرة الجامدة المنفصلة عن الحياة، يقول د. ماجي عبد المسيح في تقرير ما سبق: "إن السبب في عدم جدوى النظرة الكلاسيكية هو أنها نظرية جدًّا عاقلة منفصلة عن الحياة اليومية؛ فاللاهوت ليكون عمليًّا يجب عليه أن يرتبط بالتجربة، لهذا يجب أن نبدأ من تجربتنا الشخصية"(١).

وعلى ضوء هذا نجد أن لاهوت التحرير يقوم على مبدأ أن الممارسة أولى من العقيدة، وأن الخبرة هي من تكفل للفكر المسيحي مواكبة العصر "فهو اللاهوت الأول من نوعه في تاريخ الفكر اللاهوتي الذي يعتمد على الواقع التاريخي"(٢) ونتيجة لهذا حاول أنصار التحرر تخطي الاهتمام التقليدي للغرب المنشغل بماهية الإيمان الصحيح إلى الالتفات لفكرة الممارسة الصحيحة من الواقع؛ ليفهم من خلالها الوحي، خلافًا للاهوت الغرب الذي ينطلق من الوحي مستشرفًا الواقع في رؤية تأويلية تنطلق من الكتاب المقدس الذي يوضح لنا أن الله إله أعمال يتعاطف مع المضطهدين ومعاناتهم ويسعى لتحريرهم، وهو اقتباس للفهم الجديد الذي نادى به جورجين مولتمان(٣) عام

(٣) انظر: اليسوعي، وليم سيدهم، مجموعة من المؤلفين (٢٠٠٥)، لاهوت التحرير رؤية عربية إسلامية، (ط١) دار مصر المحروسة، القاهرة (ص٣٢).
(١) انظر: صموئيل، حبيب (١٩٩٤)، لاهوت التحرير، (ط٢)، دار الثقافة، القاهرة (ص٢٠).
(٢) أكاديمي ألماني في جامعة توبنغن، وله مشاركات لاهوتية عديدة.

١٩٦٧ م من خلال بعض أفكاره التي يتحدث خلالها عن المواساة التي يعطينا إياها الصليب والرجاء الذي تولده الأخرويات التي تقوم على أساس أن المسيح المصلوب هو بداية المعرفة الإلهية بالنسبة للبشر، محجِّمًا دلالات المعرفة التي يمكن أن تقدمها لنا الطبيعة عن الخالق؛ حيث إن الله الخالق بعيد عن الإدراك بدرجة كبيرة إلا من خلال ما ظهر لنا منه بصورة المسيح، والتي كانت معاناته وآلامه على الصليب أحد أوضح صفاته ما يبعث على المواساة؛ حيث إن الله يشارك البشرية آلامها ويبحث معها سبل خلاصها، كما يفهم من عقيدة القيامة ما تبثه في الناس من رجاء مستقبلي يدعو للتحرر والتغيير[١].

"فالرجاء المسيحي لا يعطي الراحة بل عدم الراحة ولا يمنح الصبر بل القلق ليحقق الإنسان مواعيد الله على الأرض"[٢].

في المقابل نجد أن كثيرًا من أتباع اللاهوت الغربي توجهوا بالنقد لمثل هذه الرؤى واصفين إياها بالاستجابة الظرفية غير المقيدة بالنص المقدس، والتي لا يمكن أن تقدم بديلًا لروحانية الكنائس الغربية، ما أوجب على أنصار التحرر طرح جملة من المنطلقات اللاهوتية التي تؤكد على اتساق فكر التحرر مع الكتاب المقدس والتراث الروحي فيه، والتي من أهمها اقتران فكرة الحرية بالخلاص التاريخي بالمسيح بعد شمول المجمع الفاتيكاني الثاني الأعمال البشرية المستجيبة للمبادرات الإلهية عبر اقتباس ثلاثة أبعاد للحرية أقرت في

---

(٣) انظر: هيل، جوناثان (٢٠١٢)، تاريخ الفكر المسيحي، (ص٣٣٠).

(٤) المرجع السابق (ص٥١)، نقلًا عن كتاب (لاهوت الرجاء)، لمولتمان، حيث لم أجد الاقتباس مترجمًا إلا من خلاله.

توصيات مؤتمر بوبيلا – المكسيك عام ١٩٧٩م:

١. التحرر من الأوضاع الاجتماعية كالظلم والقهر وأوضاع أجبرت البشرية على العيش في ظروف تتعارض مع إرادة الرب لحياتهم، كالتحرر من الهياكل الاجتماعية والاقتصادية القمعية.

٢. التحرر من أعماق القلب في مواجهة كل أنواع العبودية.

٣. التحرر من الخطيئة بالإيمان والشركة مع الله.

والذي أكد على وحدة ارتباطها الخلاصي مؤتمر أساقفة بيرو ١٩٨٤م حيث جاء فيه: "إن كنا نقصد بتاريخ الخلاص ليس فقط الأعمال الإلهية كالخلق والتجسيد والفداء ولكن أعمال البشر التي تستجيب للمبادرات الإلهية إما بقبولها أو رفضها، فسيكون هناك في الواقع تاريخ واحد فقط الآن لكل إنسان مكان في الخطة الإلهية سواء شاء ذلك أم أبى، وسواء كان على وعي بها أم لا"(١)، وهي مقاربة شمولية منفتحة على التحرر كمركز للخلاص عُبِّر عنها بـ"الجمع بين إله التاريخ وإله الواقع"(٢) رجاء تلافي مثاليات الروحانية النمطية.

المطلب الثاني: مآلات فكر التحرر المعاصرة:

لقد تجنبت الروحانية المسيحية على مدى طويل من الزمن الاهتمام بما تعكسه الطبيعة البشرية من صدام بين البشر في مستوى طبقاتهم الاجتماعية والاقتصادية إلى أن جاء فكر التحرر ليؤكد في ثقافته على معاني الإنسانوية الفاعلة للتحرر والتغيير، فهو محور الكون والمؤتمن بسلطة الإلهية عليه، بيد أن

---

(١) انظر: الدومينيكاني، جوستافو (٢٠١٦)، لاهوت التحرير التاريخ والسياسة، (ص٥٣).

(٢) انظر: صموئيل، حبيب (١٩٩٤)، لاهوت التحرير، (ص٣١).

هذه السلطة التي هي لخير الإنسان وحريته لا تساوي شيئا متى أضلت أهدافها، وهو ما يقتبسه التحرر من العهد القديم عبر استجابة الرب لحاجة الإنسان إلى التحرر بدعوة موسى عليه السلام وسيطًا ليحقق لشعبه الخروج من أرض مصر كأحد أبرز النماذج التاريخية التي اتسقت فيها الجهود البشرية مع الإرادة الإلهية في انتصار تاريخي للحرية والكرامة.

إن فكر التحرر نشأ ملبيًا نداء الواقع لاستعادة الحيوية الروحية بأبعادها الإنسانية متأثرًا بمضامين خطاب الاغتراب alienations الذي ما فتئ يكيل للتدين التهم الأفيونية[١] ليؤكد التحرر في مقابلها أن في استعاده الإنسان لمحور الاهتمام ضمانة لاستعادة المبادئ الروحية الحقيقية الكامنة في المسيحية، والتي ابتدأها باستعادة دفة الخلاص الأخروي لواقع الحياة عبر مفهوم خلاصٍ كوني مزدوج مبشرًا بفردوس أرضي كما في السماء مطالبًا بحقوقٍ بلا طبقية

"فالخلاص ليس شيئًا أخرويًّا يتحقق في المستقبل وبحسب أعمال الإنسان في الحياة الأرضية، بل هو اتحاد وثيق بين جميع البشر مع الله من جهة وفيما بينهم من جهة أخرى، وهو النعمة الإلهية التي تحتضن الواقع الإنساني كله"[٢]. وهي آمال ليس لها أن تتم إلا بصراع الحرية مع الاستبداد عبر ثورة تجترئ على وصف اللاهوت النمطي الذي قاد العقل المسيحي بأنه عاجز عن خلق ميادين فكرية لصياغة المسؤولية السياسية التي يتملص منها الموقف الكنسي في ظل واقعٍ يحتم الانحياز، وينأى بالمؤسسة الدينية المتهمة بالحياد عن تدجين

(١) وهو اقتباس لمقولة الفيلسوف الألماني كارل ماركس ت (١٨٨٣م) "الدين أفيون الشعوب".
(٢) انظر: الدومينيكاني، جوستافو (٢٠١٦)، لاهوت التحرير التاريخ والسياسة، (ص٢٤٩).

تساؤلات لاهوتية نحو ماهية التوفيق بين ضرورة إعلان محبة الله الشاملة وبين ضرورة الانحياز للفقراء والمضطهدين؟ ما يهدد دعوى شمول الحب المسيحي ليصير مجردا في الأذهان لا محل له من الواقع؛ ذاك الدافع الذي ألهب الجماهير والذي أشار إليه الأب الروحي للتحرر جوستافو جوتييرث حين يقول: "الدافع الذي يحرك المسيحيين في المقام الأول نحو المشاركة في تحرير الشعوب المضطهدة والطبقات الاجتماعية المستغلة هو إدانة التعارض الجذري بين القيم الإنجيلية وبين حالة لا عدالة والاغتراب السائدة"(١).

سعى التحرر في مقاربته المنحازة للفقراء والكادحين إلى تحرير الطغاة من تطلعاتهم الآثمة ليكون حب المخطئين المنغمسين بالرذيلة هو ما يتطلب أن نناضل لتحريرهم، وبهذا يتم لنا تحرر الأغنياء والفقراء في محبة شاملة مركزها الحرية "التي أبعد ما تكون عن ثمرة لعقيدة ذهنية غير فاعلة، بل يليق بالنفس التي تطلبها وتتشوق إلى امتلاكها أن تكون في يقظة دائمة"(٢).

إن فلسفة النفي التي تضمنها خطاب التحرر تكاد لا تنطفئ أمام كل ما قد تعتبره الروحانية النمطية مسلمات لا جدال فيها، في طليعة لمناهج التأويل المعاصرة توجه خلالها كافة الاجتهادات البشرية نحو قراءة دينامية عصرية لرسالة الإنجيل ومتطلبات الواقع الكسيف للشعوب اللاتينية.

لقد شهد فكر التحرر بما أثاره في القرن العشرين من دراسات ثقافية وجدل لاهوتي غامر نتيجة نقده وتحليله على تلفيق بعض المشارقة العرب وغيرهم

---

(١) انظر: الدومينيكاني، جوستافو (٢٠١٦)، لاهوت التحرير التاريخ والسياسة (ص٢٤٢).
(٢) انظر: المرجع السابق (ص٣٢٦).

ذات المناهج التأويلية الناقمة في محاولة لاستنطاق خبرة التحرر بآفاق عربية إسلامية على اعتبار أنه امتداد لشوق تاريخي للحرية يصفها د. حسن حنفي بـ"أحد أشكال الدين الطبيعي السابق على دين الوحي"(١)، والتي جاءت في صورة الإسلام الاجتماعي "الذي نشأ في شبه الجزيرة العربية تعبيرًا عن القوى الضعيفة للعبيد والفقراء في المجتمع المكي ضد الأغنياء والأقوياء من أشراف مكة"(٢)، في علاقة تفترض جدلية بين الدين والواقع يتهم خلالها د. حيدر إبراهيم ود. جمال البنا، مدارس الفقه الإسلامي بالطقوسية الجافة التي فشلت في استيعاب التجارب الوطنية والتنموية ما تسبب بظهور الأصولية المنادية بتطبيق شريعة، لجأت بها إلى حداثة معكوسة في تعاملها مع الواقع محاولة بناء عالم حديث بأدوات فكرية عتيقة، جاعلين مستقبلهم خلفهم لا أمامهم بحثًا عن نقاء غير موجود لما يسمى صحيح الدين(٣).

إن مثل هذه الدعاوى والشعارات تمثل بلا شك أحد معضلات الحداثة العربية القائمة على المحاكاة والنقل دون الوقوف على دراسة بنيوية لظاهرةٍ كالتحرر، فالحداثة التي رفعت قدراتها بإنتاج أعظم التكنولوجيات تقدمًا في مستوى مذهل من التطور المعرفي لحقول العلوم التجريبية، لم تنجح بكل تأكيد في تصحيح النظم الاجتماعية والاقتصادية والسلوكيات التي ساهمت في تسليع حياة الإنسان حتى سلبته الهبات الروحية الضرورية لحسن الاختيار، والتي على

(١) انظر: اليسوعي، وليم سيدهم، مجموعة من المؤلفين، (٢٠٠٥)، لاهوت التحرير رؤية عربية إسلامية، (ص٦١).

(٢) انظر: المرجع السابق (ص٦٨).

(٣) انظر: المرجع السابق (ص٥١، ص٨٨).

إثرها نشأ التحرر، ما يدعو لتهافت مآخذ التنمية على النظم الإسلامية السياسية المنادية بقوانين الشريعة، بل إن الطفرة التنموية الرأسمالية للغرب التي يحاكيها هؤلاء لم تزدهر إلا في ظل روحانية مسيحية عتيقة، وهي وإن كانت لا تنصف الشعوب المضطهدة، إلا أنها برهان على عدم صحة ارتباط التراجع التنموي بالحداثة المعكوسة التي يُرَوج لها، ما يجعلها همًّا بأدلجة الواقع واستيفادًا للتحرر عن بنيته التي فيها نشأ وعنها تحرر.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، له الحمد حتى يرضى، وله الحمد بعد الرضا، وله الحمد على كل حال.

أولًا: النتائج

هذه بعض النتائج ويليها بعض التوصيات التي يمكن استخلاصها من هذا البحث:

١-جاءت النصوص من الكتاب والسنة متظافرة تأكيدًا لصلة مفردات منظومة القيم السماوية في مضمونها وغاياتها على لسان الأنبياء والمرسلين.

٢- تختص منظومة القيم السماوية على شمولها لمعاني الخير وصلاحها لكل مجالات الحياة على اختلاف الزمان والمكان.

٣-القيم السماوية ثابتة لا تتغير في مضمونها ولا في غاياتها؛ لأنها من العدل والإحسان العام الذي أمر الله به، وإنما التغيير فيما قد يطرأ عليها من عوامل عابثة خارجة عنها.

٤-تنفرد الديانة المسيحية عن الإسلام في رؤيتها لخصائص الروح البشرية المودعة في الجسد تبعًا لعقيدة الصورة والمثال الواردة في الكتاب المقدس.

٥-يشير المصطلح اللاهوتي Theology في المصادر المسيحية على وجه الخصوص إلى الكلام في الله أو النطق بالمعارف الإلهية والتأمل في النصوص المقدسة حيث يعد أدق في مضمونه ومعناه من استعماله الأصيل في المعارف اليونانية.

٦-رغم التقارب الموضوعي في مفهوم اللاهوت بين التراث اليوناني والمسيحي نجد أن الفارق ما يزال موجودًا عند إمعان النظر في المبادئ اللاهوتية بين التراثين وبالتحديد على مستوى مصادر المعرفة.

٧-تسرب المفاهيم اليونانية الوثنية إلى مبادئ اللاهوت المسيحي، وهو ما نجد نقيضه في مبادئ العقيدة الإسلامية حيث يقرر القرآن نفي أي علاقة وصلة شخصية بين الخالق والمخلوق سوى مقام العبودية.

٨-يعد اللاهوت من العلوم التي اتفقت المصادر المسيحية على حد موضوعه وتنوعت في صياغة تعريف به، وهذا راجع إلى اختلاف زاوية النظر إلى موضوعه.

٩-يعد مصطلح الروحانية كتعبير نصي غير مستخدم في ألفاظ الكتاب المقدس إلا أنه توجد عبارات كالهبة والبركة الروحية لها ذات الدلالة، وهي مستعملة بكثرة في ألفاظ الكتاب المقدس.

١٠- إمكان التوسط بين المسالك المتنازعة في نسبة اشتقاق الروحانية إذا ما تم الأخذ بالاعتبار إعادة تدوير المصطلح في أغراض فكرية معاصرة قد تكون تقاطعت مع الاستعمال اللاهوتي في الغرض الدلالي.

١١- يعد خلو مطلع القرن الأول من الصيغ اللاهوتية وقوانين الإيمان أبرز السمات المميزة لروحانية الكنائس الأولى.

١٢- تخلُص الوثائق المحفوظة التي تمثل النصوص التاريخية المبكرة للديانة المسيحية إلى بعض السمات الجامعة لروحانية الكنائس الأولى فهي روحانية مركزية، وراصدة، وقيمية.

١٣- تعد تعاليم غريغورس النيصي مثالًا مبكرًا لدمج الفلسفة اليونانية بالصيغ اللاهوتية مطلع القرن الرابع؛ حيث أكثر غريغورس من استعمال التعبيرات الفلسفية في إيصال المفاهيم المرادة عنه.

١٤- تعد جماعة القديس أوسابيوس الناشئة عام ٣٦٣م أقدم التجارب الغربية المتأثرة بالترهب الشرقي.

١٥- تأثر الصياغة الإنجيلية لتعاليم المسيح عليه السلام بتغيرات الظرف الاجتماعي ما يخل بأمانة النقل ومصداقية التعاليم.

١٦- تعد التعاليم الإنجيلية متكيفة مع كل عصر، ولا تخضع لشكل دائم ومستقر من الروحانية، بل هي تطور ديناميكي لسياقات التاريخ بثقافاته المختلفة.

١٧- تعد سيرة المسيح الواردة في الإنجيل مقتضبة، وهي على وجه الجزم لا توازي حجم الأثر الذي تعكسه في اللاهوت الروحي، رغم أن الحياة الروحية تمحورت حول ذاته عليه السلام.

١٨- لم تقتبس المسيحية كامل الوصايا العشرعن العهد القديم، وإنما اقتصرت على الجزء الأخير منها؛ لتميزه بالطابع العام والشامل الذي ناسب أممية الدعوة المسيحية، ولما يشتمل عليه الجزء الأول من وصايا تأمر بتوحيد الألوهية وتنهى عن صناعة الصور والتماثيل ما لا يتفق مع الرؤية المسيحية.

١٩- تعد الموعظة التي ألقاها المسيح على الجبل أبرز النصوص الروحية في الموروث الكتابي المحفوظ لدى الطوائف المسيحية الثلاث.

٢٠- لم تخلُ آراء شُراح الموعظة على الجبل من التحفظ والاحتراز المقيد لغايات الخطاب فيها أو التي تعيد تعريف الجمهور المعني بها.

٢١- تستمد الشمولية جاذبيتها من حس الرجاء الذي تولده فكرة إمكان خلاص عموم البشر، وهي نظرة متفائلة غير معتادة في الطرح الكنسي.

٢٢- لا تراعي التعددية الفروق الدلالية في كل لغة ما يوحي بتقارب ديني لا أساس له من الصحة، ويعد تقليلًا من شأن المفاهيم الاصطلاحية الخاصة بكل ديانة.

٢٣- يقوم لاهوت التحرير المسيحي على مبدأ أن الممارسة أولى من العقيدة، وأن الخبرة هي من تكفل للفكر الديني مواكبة العصر.

٢٤- إن فلسفة النفي التي تضمنها خطاب التحرر المسيحي تعد طليعةً لمناهج التأويل المعاصرة التي تبناها بعض المشارقة العرب في نقد الموروث الإسلامي.

ثانيًا: التوصيات

وأخيرا أوصي نفسي وإخواني طلبة العلم بتقوى الله تعالى والحرص على رضاه وخشيته بالسر والعلن، وهذه بعض التوصيات في تمام هذا البحث:

١-العناية بالأصول الجامعة لدعوة الأنبياء والمرسلين لشمولها لمعاني الخير وصلاحها لمجالات الحياة على اختلاف الزمان والمكان.

٢-التنبه لدعاوى السمو والكمال الروحي المبهمة لما قد تنطوي عليه من عقائد ومفاهيم مخالفة للكتاب والسنة.

٣-العناية بدراسة النصوص المبكرة لتعاليم المسيحية لما لها من أهمية في الكشف عن حجم التحريف الحاصل.

٤-الحث على مزيد من الدراسات البنيوية في مجال مقارنة الأديان ما يسهم في بناء تصور صحيح حول مدى تأثر التعاليم الدينية وأسباب انتشارها أو رفضها.

٥-الحذر من استيراد الثورات الثقافية المقنعة بالحداثة عن بنيتها الفكرية وواقعها المحدود.

الفهارس الفنية

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾	البقرة	٨٣	٧٤
﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾	آل عمران	١٣٤	٨٥
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾	آل عمران	٥٠-٥١	٥٣
﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	آل عمران	٧١	٢٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾	النساء	١	٢٣
﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ	النساء	٢٨	٨٤

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
ضَعِيفًا ﴾			
﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾	المائدة	١٨	٣٥
﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾	الأنعام	١٥١	٧٤
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴾	الأعراف	١١	٢٣
﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾	الأعراف	٣٢	٨٥
﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ	النحل	٩٠	٢١

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾			
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾	الأنبياء	٢٥	١٩
﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾	لقمان	١٤	٧
﴿ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾	الصافات	١٥٨	٣٤
﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾	الشورى	١٣	٢٠
﴿ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴾	الزخرف	١٥	٣٤

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	الصفحة
أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ	٢٠
إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ	٢٠

قائمة المصادر والمراجع

١. إشعياء، ميخائيل (٢٠١١)، حياة الشركة الباخومية، مطبعة الدلتا، (ط٣).

٢. أفلاطون، ترجمة حنا خباز (٢٠١٧)، الجمهورية، (ط١) مؤسسة هنداوي - المملكة المتحدة.

٣. الألوسي، شهاب الدين محمود (١٩٩٤)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، (ط١)، دار الكتب العلمية - بيروت.

٤. ألويزيوس، بييريس (٢٠٠١)، لاهوت التحرير الآسيوي، (ط١)، دار المشرق، بيروت.

٥. إلياس مقار (١٩٧٠)، قضايا المسيحية الكبرى، (ط٢)، دارالثقافة المسيحية - القاهرة.

٦. الأنبا إبيفانيوس (٢٠١٤)، بستان الرهبان، دار مجلة مرقس (ط١) - القاهرة.

٧. الأنبا غريغورس (١٩٩٧)، دراسة في الموعظة على الجبل، (ط١)، أسقفية الدراسات العليا اللاهوتية القبطية، مصر.

٨. آنس، جيمس (م.ج)، علم اللاهوت النظامي، الكنسية الإنجيلية بقصر الدباورة — مصر.

٩. أوغسطينوس (٢٠١٧)، عظة الجبل، (ط١)، دار المشرق، بيروت.

١٠. إيان، مرخام (٢٠١٧)، اللاهوت المعاصر دراسات نقدية، (ط١)، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية - مصر.

١١. البابا، شنودة الثالث (١٩٨٩)، الوصايا العشر، دار الأنبا رويس بالعباسية، مصر، (ط٧).

١٢. البابا، شنودة الثالث (١٩٩٦)، تأملات في العظة على الجبل، (ط٣)، مطبعة الأنبا رويس بالعباسية، مصر.

١٣. بباوي، جورج (٢٠٠٨)، المدخل إلى اللاهوت الأرثوذكسي، (ط١)، موقع الدراسات القبطية.

١٤. بباوي، جورج (٢٠٢١)، الإنسان صورة الله ومثاله، (ط١)، جذور للنشر - القاهرة.

١٥. البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٩٩٣)، صحيح البخاري، ت: مصطفى البغا، دار اليمامة، دمشق.

١٦. بركوني، تيودور (٢٠١٣)، إنجيل متى في التراث السرياني، (ط١)، الرابطة الكتابية، لبنان.

١٧. بولات، بي (٢٠١٢)، تاريخ الروحانية المسيحية، (ط١)، دار الكلمة - القاهرة.

١٨. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (٢٠٠٤)، مجموع الفتاوى، (ط١)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف - المدينة المنورة.

١٩. ج. ويلتر (٢٠٠٧)، الهرطقة في المسيحية، (ط١)، دار الفارابي، بيروت.

٢٠. جبور، إسبيرو (١٩٩٦)، الله في اللاهوت المسيحي، (ط١).

٢١. جون هيك وآخرون، تحقيق: دينيس ل، ترجمة: ديما معلم (٢٠١٥)، الخلاص اتجاهات أربعة في عالم تعددي، (ط١) دار المعارف الحكمية، بيروت.

٢٢. ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن، (٢٠٠٤)، تلبيس إبليس، (ط١)، دار الكتاب الحديث، القاهرة.

٢٣. الدوسري، عايض بن سعد (٢٠٢٢)، الخلاص خارج الكنسية الكاثوليكية، (ط١)، دار تكوين للدراسات، الدمام.

٢٤. الدومينيكاني، جوستافو (٢٠١٦)، لاهوت التحرير التاريخ والسياسة، (ط١)، دار الإكويني، القاهرة.

٢٥. الدومينيكي، جوردان أومان (٢٠١٣)، تاريخ الروحانية المسيحية في التقليد الكاثوليكي، (ط١)، دار المشرق - بيروت.

٢٦. ديورانت، ويل وايزل (٢٠١٠)، قصة الحضارة، (ط١)، دار الجيل، بيروت.

٢٧. ستوت، جون (٢٠٠٦)، الكتاب المقدس يتحدث اليوم، الموعظة على الجبل، (ط٢)، دار النشر الأسقفية، القاهرة.

٢٨. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر(٢٠٠٠)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. (ط١) مؤسسة الرسالة - بيروت.

٢٩. السقا، أحمد حجازي (٢٠٠٥)، إنجيل الديداكي، (ط٢)، دار البروج للنشر - القاهرة.

٣٠. سميث، هيوستن (٢٠٠٧)، أديان العالم، (ط٣)، دار جسور الثقافية –

حلب.

٣١. السيد، مها محمد (م.ج)، الآلهة والأساطير اليونانية، (ط١)، مكتبة المهتدين الإسلامية – القاهرة.

٣٢. الشامي، رشاد عبد الله (١٩٩٣)، الوصايا العشر في اليهودية، (ط١)، دار الزهراء للنشر، مصر.

٣٣. صموئيل، حبيب (١٩٩٤)، لاهوت التحرير، (ط٢)، دار الثقافة، القاهرة.

٣٤. الطبري، محمد بن جرير (م.ج)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: محمود شاكر (ط١)، دار التربية والتراث – مكة المكرمة.

٣٥. عجيبة، أحمد علي (٢٠٠٤)، دراسات في الأديان الوثنية القديمة، (ط١)، دار الآفاق العربية – القاهرة.

٣٦. عصمت، نصار (٢٠٠٩)، فلسفة اللاهوت المسيحي، (ط١)، دار الهداية، القاهرة.

٣٧. فايز، فارس (١٩٨٧)، علم الأخلاق المسيحية، (ط١) دارالثقافة – القاهرة.

٣٨. فؤاد نجيب (٢٠١٥)، وثيقة الحرية، الموعظة على الجبل، (ط١)، جذور للنشر، القاهرة.

٣٩. فؤاد، زكريا (٢٠١٧)، نظرية المعرفة والموقف الطبيعي للإنسان، (ط١)، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة.

٤٠. القس أباكير، عبد المسيح، بدعة بيلاجيوس، مشروع الكنوز القبطية، مصر.

٤١. القشيري، مسلم بن الحجاج، (١٩٥٥)، صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي، القاهرة.

٤٢. القيصري، يوسابيوس (١٩٧٩)، تاريخ الكنسية، (ط٢)، مكتبة المحبة - مصر.

٤٣. كاسيان، يوحنا، ترجمة بولا ساويرس، المحاورات، منشورات مشروع الكنوز القبطية، (ط١)، القاهرة.

٤٤. كاوتسكي، كارل (٢٠١٤)، الدين والصراع الطبقي في المجتمع الشرقي، دار روافد للنشر، (ط١)، القاهرة.

٤٥. الكرساوي، أحمد، (٢٠١٨)، مدخل إلى نظرية المعرفة، (ط٢)، دار تكوين للدراسات، الدمام.

٤٦. لوريمر، جون (٢٠١٣)، تاريخ الكنسية، دارالثقافة، (ط١) - القاهرة.

٤٧. ماجراث، أليستر. أي (٢٠٢٢)، اللاهوت التاريخي، (ط١)، دار منهل الحياة-لبنان.

٤٨. المخلصي، إلياس (١٩٨٩)، القديس باسيليوس الكبير، منشورات المكتبة البوليسية (ط١) — بيروت.

٤٩. مقال (قوانين القديس باخوميوس https://abounamourad.net)

٥٠. ملطي، تادرس يعقوب (٢٠١٢)، باسيليوس الكبير، الرهبنة والنسك، الناشر كنيسة مارجرجس (ط١)، الإسكندرية.

٥١. مينا، ميخائيل (٢٠٠٢)، موسوعة علم اللاهوت، مكتبة المحبة، (ط١)، القاهرة.

٥٢. نجيب، مكرم (م.ج)، الروحانية الجذور والثمار، (ط١).

٥٣. نصور، جورج (١٩٧٥)، سلسلة أقدم النصوص المسيحية، (ط١)، رابطة الدراسات اللاهوتية في الشرق الأوسط - لبنان.

٥٤. النيصي، غريغورس (١٩٩٦)، الكمال في مجال الفضيلة، منشورات المكتبة البوليسية، (ط١)، بيروت.

٥٥. هوبكو، توماس (٢٠١٢)، مقالتان في الروحانية الأرثوذكسية، (ط١)، مطرانة ملوى - مصر.

٥٦. هيل، جوناثان (٢٠١٢)، تاريخ الفكر المسيحي، (ط١) دار الكلمة للنشر، الإسكندرية.

٥٧. اليسوعي، فاضل سيداروس (٢٠١٣)، علم لاهوت الأديان، (ط١)، دار المشرق، بيروت.

٥٨. اليسوعي، وليم سيدهم، مجموعة من المؤلفين (٢٠٠٥)، لاهوت التحرير رؤية عربية إسلامية، (ط١) دار مصر المحروسة، القاهرة.

٥٩. اليسوعي، وليم سيدهم، مجموعة من المؤلفين، (٢٠٠٥)، لاهوت التحرير رؤية عربية إسلامية.

فهرس المحتويات

الإهداء..٥
الملخص..٦
الشكر والتقدير ٧
المقدمة..٨
أهمية البحث: ١٠
أسباب اختيار البحث:...١٠
أهداف البحث:..١١
حدود البحث:...١١
مشكلة البحث:..١١
منهج البحث: ١٢
آلية البحث: ١٢
الدراسات السابقة: ١٣
خطة البحث:..١٦
الفصل التمهيدي ١٩
المطلب الأول: كمال التشريع الإلهي ووحدة القيم السماوية:..............١٩
المطلب الثاني: مركز رؤية السمو الروحي في المسيحية:...................٢٢

الفصل الأول: اللاهوت الروحي ومراحله التاريخية وبنية التعاليم فيه ٢٩
المبحث الأول: اللاهوت الروحي ٣٠
المطلب الأول: مصطلح اللاهوت ودلالاته بين التراث اليوناني والمسيحي: ٣٠
المطلب الثاني: علم اللاهوت وأقسامه في المعارف المسيحية: ٣٥
المطلب الثالث: الروحانية: ٣٨
المبحث الثاني: مراحله التاريخية ٤٢
المطلب الأول: روحانية الكنائس الأولى: ٤٢
المطلب الثاني: روحانية الكنائس الشرقية: ٥٣
المطلب الثالث: روحانية الكنائس الغربية: ٦٠
المبحث الثالث: بنية التعاليم الروحية ٦٤
المطلب الأول: البنية الاجتماعية والثقافية لتعاليم الروحية: ٦٤
أولًا: البنية الاجتماعية: ٦٤
ثانيًا: البنية الثقافية: ٦٨
المطلب الثاني: دراسة في أبرز التعاليم الروحية: ٧٠
أولًا: الوصايا العشر: ٧١
ثانيًا: موعظة الجبل: ٧٥
الفصل الثاني: الاتجاهات الروحية المسيحية وآثارها الفكرية المعاصرة ٨٧
المبحث الأول: الاتجاهات الروحية المسيحية ٨٨
المطلب الأول: الاتجاه البيلاجي: ٨٨
المطلب الثاني: الاتجاهات الخلاصية: ٩١
أولًا: التعددية: ٩٤

ثانيًا: الشمولية: ١٠٠
ثالثًا: الخصوصية: ١٠٣
المبحث الثاني: آثارها الفكرية المعاصرة ١٠٦
المطلب الأول: حركة التحرر المسيحية (لاهوت التحرير): ١٠٦
المطلب الثاني: مآلات فكر التحرر المعاصرة: ١١٠
الخاتمة... ١١٥
أولًا: النتائج ١١٥
ثانيًا: التوصيات ١١٨
الفهارس الفنية.. ١٢١
فهرس الآيات القرآنية ١٢٢
فهرس الأحاديث النبوية ١٢٥
قائمة المصادر والمراجع ١٢٦
فهرس المحتويات... ١٣٢
Abstract ١٣٦

السيرة الذاتية

- الاسم: إبراهيم طارق محمد الطواري.
- تاريخ الميلاد: ١١/ ١٠/ ١٩٩٤م الموافق ٦/ ٥/ ١٤١٥هجريًّا.
- الوظيفة : معلم مادة العقيدة والدعوة في إدارة الدراسات الإسلامية، دولة الكويت.
- المؤهل العلمي: شهادة الثانوية العامة من إدارة التعليم الديني، دولة الكويت.
- شهادة البكالوريوس بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى في تخصص العقيدة والدعوة من الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة عام ٢٠١٦م.
- شهادة الماجستير في العقيدة والمذاهب الفكرية المعاصرة جامعة الكويت عام ٢٠٢٤م

Abstract

This research explores an aspect of the Christian faith by studying a set of teachings related to the human spirit referred to as "Spiritual Theology." It aims to formulate values and lofty spiritual goals in individual behavior. The study sheds light on Christian knowledge, emphasizing divine legislation perfection, the unity of heavenly values, and the center of spiritual elevation in Christianity. The first chapter analyzes the diverse connotations and divisions of the term "theology" across Eastern and Western churches. It also addresses the term "spirituality" and reviews three historical stages that contributed to the development of spiritual discourse. The third section focuses on the social and cultural structures of spiritual discourse, examining prominent spiritual teachings in religion. The second chapter reviews various intellectual trends that influenced the spiritual text, exploring contemporary intellectual impacts and consequences.